

أَنِيسٌ مُنْصُورٌ

الْأَرْقَادُ الْمَهْمَةُ



حاسن التوبي ٩٤

دار الشروق

إِلَّا فاطمَة

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

جيسع جستون الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سبويه المصري - رابطة العدوية - مدينة نصر
ص. ب : ٣٣ البالوراما - تليفون : ٤٠٢٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠)
بيروت : ص. ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أَنْ يُسْ منصُور

إِلَّا فاطمَةٌ

دارالشروق

الحلقة الأولى

على حقيقة من القماش جلس «صابر» في محطة المترو تحت أرض فيينا .. وأسند ظهره إلى حائط من الرخام أكثر برودة من الهواء الذي ينطلق من جانب إلى جانب .. كأنه يسابق الناس إلى السلام وإلى المترو .. فالناس في كل الاتجاهات تمشي بسرعة .. طبعاً لهم أهداف .. وطبعاً الوقت عندهم من ذهب لا يضيعونه في البخلة في وجوه الناس وفي أقدامهم وسيقانهم .. ونظر إلى حقيقته ، إن لونها كثيب . وتذكر أن والدته قالت له : عندما يفتحها ربنا عليك هات لك حقيقة أحسن ..

ونظر إلى حذائه : إنه جديد لامع .. لامع لأنه يمسحه في بنطولنه من حين إلى حين .. وهي حركة عصبية لا معنى لها .. ولكن أيام المدرسة كان المدرسوں يضربونه لأن حذاءه قذر .. فلم يكن يتوقف عن لعب الكرة حتى بعد أن يدق الجرس .. إنها عادة . ومعناها الآن أنه خائف .. وأن الخوف قد أعاده إلى سنوات الطفولة

البعيدة .. ومن الذي لا يخاف في مدينة لا يعرف فيها أحداً . ولا يعرف لغتها ولا يعرف ما الذي يمكن أن يعمل فيها .. فالذى تعلمه كله لا قيمة له .. إنه قد درس الحرق باللغة العربية ، ما فائدة هذه القوانين : الرومانى والمدنى والجنائى والدستورى والإدارى .. لا فائدة طبعاً . ولو جاء أحد رجال الأمن وظنه متسللاً أو مهرباً للمخدرات وأشار بيده أن يسبقه إلى مركز الشرطة ، فإنه لا يعرف ماذا يقول ..

- هل تسرعت في هذا القرار ؟

صابر يسأل نفسه بعد أن وصل إلى فيينا في الطائرة المصرية .. لقد أزعجه المطار .. ولكنه سار في طابور وراء الناس .. وتولد عنده شعور بالأمان ، لأن الطابور الذي أمامه ووراءه من المصريين .. إنه لا يعرف إذا سألهم ماذا يقول لهم .. وقف أمام شباك الجوازات .. وختم له الضابط جواز سفره وأشار إليه أن يتقدم وقال له مبتسماً شيئاً ما لم يفهمه .. ولكن لابد أنه رحب به ترحيباً شكلياً ..

وشكره صابر في نفسه .. وخرج إلى الصالات الواسعة للمطار .. سوق .. الناس ألوان والحقائب أشكال والأصوات لهجات ولغات .. وضوضاء وروائح من الدخان ومن أشياء أخرى .. وأمام المطار .. كان الجو بارداً ..

واقترب من أحد المصريين القادمين معه من مصر وقال له : أنا لا أعرف أحداً هنا ..

- لا تعرف أحداً .. كيف جئت ؟

- قررت أن أجئه . وأنا متزوج وزوجتي حامل .. وكل الذى معى هو أدعية من والدى وأمى فى الله سبحانه وتعالى أن يهدينى سوا السبيل .. وأنا مؤمن بأن الله جلت قدرته سوف يوفقنى .. الحمد لله على هذا الإيمان .. وأنا أعتقد أن الله قد استجاب لدعوات أمى فقابلت حضرتك ..

- كويس أن عندك مثل هذا الإيمان وهذه الثقة بالله .. ولكن لا تعرف أحدا هنا؟ ..

- لا .. معى خطاب لواحد بلدياتى .. ولكن لا أعرف كيف أصل إليه ..

- هل تعرف اللغة الألمانية؟

- أبدا .. والقليل جدا من الإنجليزية .

- هل تعرف ما الذى يمكن أن تتعرض له هنا؟

- عندي فكرة ..

- يعني أنت أهلت نفسك لكل ما سوف تلقاه هنا .. على كل حال هنا مصريون كثيرون . عندي حل .

وأشار إليه أن يركب معه التاكسي .. وحاول أن يطمئنه طوال الوقت ويحكى له قصة حياته .. فهو أيضا قد جاء إلى هذه البلاد مغامرا .. كان في الكويت وسافر منها إلى العراق ، ثم إلى تركيا ، ثم عبر أوروبا الشرقية إلى المانيا ثم إلى النمسا .. وعندما وصل إلى فيينا

ووجد عدداً كبيراً من المصريين .. وكلهم أولاد بلد وجد عنده . وعرضوا عليه أن يعيش معهم في أي بيت يختاره .. ووجد بعضهم يعيش في غرفة واحدة وفي اثنين وفي ثلاث .. ولكنهم جميعاً رجعوا به وطلبوا إليه ألا يشغل باله بأى شيء .. فسوف يقتسمون الرغيف والماء والفراش .. ولا يهمك .. وبكره تتعذر ..

ولم تتعذر بكره وإنما بعد بكره .. بل بعد بعد بكره . وتعذرلت وهو الآن يعمل في قسم الحسابات بأحد المستشفيات بعد أن حصل على الجنسية النمساوية .. وزوجته نمساوية وعنده أولاد وهو يساعد أهله في الوقت نفسه .. ثم إنما ساعد كثيراً من أقاربه بالهجرة إلى النمسا والحمد لله . وقبل يده ظهرها ووجهها !

وكانت سعادة «صابر» هائلة عندما سمع قصة الكفاح والنجاح هذه .. وعندما وجد نفسه قد دخل في حياة المصريين .. وكأنه في دقائق قد عاد إلى مصر .. إلى الأمان والأحسان والدفء والرحمة والحب ..

وفي متنه السعادة سأله «صابر» : يعني أنت رأيك أن كل هذه المشاكل سوف تجد لها حل بميشينة الله ؟ .. أنا أعتقد أنني وجدت الحل .. فانا أخوك وأنت تعرف الكثرين .. هذا توفيق من عند الله .. وأنا لم أبذل مجهدًا في البحث عنك .. إذن فالله لن يخيب أملـي ولن يردنـي خائـباً .. أـمـي أـكـدتـ لـيـ ذـلـكـ .. فـالـحـمـدـ لـلـهـ وـمـاـ توـفـيقـيـ إـلـاـ بـالـلـهـ ..

.. أنزله من التاكسي إلى إحدى محطات المترو وقال له : هنا سوف تجد عدداً كبيراً من الشباب المصريين يبيعون الصحف ويعملون في المقاهي والمطاعم .. ولن تحتاج إلى مجهود لكي تهتم إليهم .. إنهم هم الذين سوف يعرفونك وسوف ترى منهم العجب .. إنني أتركك هنا .. وسوف أعود إليك بعد ساعة .. وهذا هو عنوانى إن احتجت أى شيء لا تتردد مطلقاً .. وقد حدث لنا جميعاً ذلك .. وكلنا جئنا إلى هنا والتقيينا هنا وافترقنا هنا .. وأنا على يقين من أنك سوف تعود إلى هذا المكان يوماً ما .. منها طال بقاوتك في هذا البلد .. سوف تعود إلى هذه المحطة وإلى نفس المكان وربما في نفس اليوم وال الساعة .. لا تخف فأنت الآن بين ألف المصريين ..

وامتلأت عيناً «صابر» بالدموع .. هل هي السعادة بأنه قد وجد حلاً .. هل بسبب الإرهاق والتوتر الشديد والانفراج المفاجئ ! .. هل هو إحساسه بالحنين إلى مصر .. هل إحساسه بأنه لم يفكّر كثيراً في ماذا يحدث لزوجته وهي حامل في شهرها السابع .. ماذا سيحدث لأمه المريضة .. أما أبوه فهو يعيش مع زوجة أخرى .. هل هو الخوف من شهادة .. إخوته الأشقاء وغير الأشقاء .. هل هو إحساسه منذ هذه اللحظة أنه أصبح وحده ومن يدرى ، فقد تمضى ساعات أو أيام قبل أن يجد مصرىاً واحداً .. أو لن يجد هذا المواطن المصري الطيب ، الذي أعطاه بطاقة عليها الاسم وعنوان فوضعها في حافظة نقوده دون أن ينظر إليها ويعرف اسمه ..

وبدأ الأفكار القائمة تهب على دماغه كالماء البارد تحت الأرض

من كل اتجاه .. أو كأنها غربان سوداء ودماغه شجرة جافة الغصون
ذابلة الأوراق .. وأحس برغبة شديدة في النوم .. كيف ينام وهو لم
يعرف له مكاناً يذهب إليه أو أحداً يدله على أي شيء في هذه
المدينة .. وتذكر أن والدته قد وضعت له سندوتشاً من المربى
والزبدة .. وسندوتشاً آخر من البيض والجبن .. وأحس بالجوع
فعلاً ومديده إلى حقيقته وأخرج لفافة بها السندوتشات ..

وفجأة ظهر شاب أسمه مصرى يقول له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ..
لقد رأيتك منذ لحظات وتذكرت أيام جئت أنا أيضاً إلى هذا المكان ..
بالضبط حيث تجلس أنت ..

ثم قدم له صينية ورقية عليها عدد من الكرواسان ، وقدم له كوباً
من الشاي الساخن وقال : أنت تأكل وتشرب من مصنوعات
فيينا .. وأننا آكل سندوتشات مصر .. والله وحشتنا مصر ..
ولكن ولا يهمك أي شيء .. أنت الآن بين أهلك ..

ثم رکع على قدميه ضاحكاً : شبيك لبيك عبدك بين يديك !
وضحك « صابر » لأول مرة .. وعانت هذا المصري الطيب
وقال : إن كل دعوة من دعوات أمي قد استجاب لها الله .. فالحمد
للله رب العالمين !

إنت اسمك إيه يا أخي ؟
- محسوبك « عرفان » وأنت ؟
- « صابر » ..

ـ أهلا يا « صابر » ..

ـ مرحبا بك يا « عرفان » ..

ـ اسمع يا « صابر » .. أنا عاوزك تفرفش ولا تحمل أى هم ..
كل مشكلة لها حل .. وأنت من هذه اللحظة ترمي كل همومك
 علينا .. سوف نحل لك مشكلة السكن .. ومشكلة العمل .. ولا
 يهمك .. كلنا جئنا مثلث تماما .. وكنا خائفين .. أنا والله العظيم
 حدث لي شيء غريب أول ما وصلت هنا .. أصابني إسهال
 شديد .. فكنت أبكي وأنا في دورة المياه ، خوفا من أن أظل طوال
 الوقت في دورة المياه ولا أجد أحدا من المصريين .. والحمد لله كل
 شيء ربنا جعله لنا سهلا .. فلا تخف ! الآن تستطيع أن تنسد
 رأسك إلى الحائط وتنام .. وأنا سوف لا أرفع عيني عنك .. سوف
 أتركك ربع ساعة .. وهذه ورقة بها عناوين عشرين من المصريين ..
 كلهم يسكنون ويعملون في هذه المنطقة .. لا تخف .. لن يسرقك
 أحد هنا .. إلا إذا كنت أنا .. هاها .. هاها !

وكأن أميراً قاطعاً قد صدر إلى « صابر » بأن ينام .. نامت عيناه
 وتراحت ذراعاه وارتوى على الحائط وراءه ونام .. نام طويلاً ..

وعندما فتح عينيه في فزع ، وجد عن يمينه وشماله عددًا من
 المصريين .. بالأحضان والقبلات .. ومرحبا بك في وطنك
 الثاني .. لا خوف ولا قلق .. وقالوا له : احنا جدعان برضه ..
 وأولاد بلد .. وعندنا نظر ..

وكان النوم قد أراح «صابر» وأنعشه وفتح شهيته على الضحك . .
وقال لهم : سمعتم آخر نكتة . . هاها . . ونكتة وراء نكتة . .

وسحبوا حقيبته من ورائه . . وحللها واحد منهم . . وحقيقة يده
حملها واحد ثان . . واتجهوا جمِيعاً إلى الخطوة الأولى في الطريق
الصعب إلى الحياة في العاصمة النمساوية . .

الحلقة الثانية

كان عليه أن يتعلم الألمانية وأن يعمل في نفس الوقت .. أو يعمل أولا .. وبعد شهر أو شهرين يتعلم الألمانية .. إذن لابد أن يكون العمل الذي سوف يؤديه ليس في حاجة إلى لغة .. فهو يعرض سلعة والناس يدفعون دون أن يسألوا .. ويكتفى أن يضع الصحف على الأرض وينحنى كل عابر ويختار الصحيفة التي يريد لها ويضع الفلوس في طبق مجاور .. ولا خوف .. فلا أحد يسرق في هذه البلاد .. بل في استطاعته أن يترك الصحف على الأرض وهو آمن تماماً إذن فوجوده إلى جوارها ليس ضروريًا .. المهم أن يعمل أولا وأن يتغاضى أجرًا أو عمولة .. ولكن «صابر» لا يريد أن يضع وقتاً والوقت هنا يمر بسرعة ..

لقد مضى شهراً ولم يصل إلى أى شيء .. فقط إنه يجد المصريين يأكلون ويمرحون ويضحكون ويذكرون ، وكل واحد له حكاية ومقامرة . ويطلع النهار ويضحكون وبعضهم يتسلل مع الفجر ..

وبعضهم ينام مع الفجر .. وينامون بالخمسة في غرفة .. وأحياناً يتناوبون النوم على الأرض وعلى السرير وأمام الغرفة .. وكلهم في انتظار المعجزة التي تنقذهم مما هم فيه .. وتحيى المعجزة دائمًا - هذا إيمانهم . وهو الإيمان العميق عند «صابر» .. فهو على يقين من أن الله لن يتخلى عنه .. أمه رأت في الفنجان ذلك وفي أحلامها .. ثم إن الدعاء الذي طلبت إليه أمه أن يقرأه كل يوم ، دعاء معروف لتفريح المهموم وفتح الأبواب المغلقة ..

ولم يكن «صابر» يجد مكاناً يخلو فيه إلى نفسه إلا دورة المياه .. وفيها يقرأ الخطابات التي كتبتها زوجته وطلبت إليه أن يقرأ واحداً كل يوم .. وأن يقرأ الأدعية المباركة التي زودته بها أمه .. وإذا أحس بالرغبة في البكاء فإنه يمسك دموعه حتى يخرج أحد الرملاء من دورة المياه .. وإذا فكر في أن يكتب ففي دورة المياه أيضاً .. وهو لا يستطيع ذلك إلا بعد أن يناموا جميعاً أو يخرجوا جميعاً .. وإن كانوا عادة لا يخرجون إلى العمل كلهم فمواعيد عملهم مختلفة .. أنساس ينامون نهاراً وأناس ينامون ليلاً .. ثم وجد الحل المريح له وهو أن ينزل ويقف أمام الباب ويقرأ وإذا أراد أن يكتب جلس على أحد المقاعد في الحديقة الصغيرة ..

ومنذ جاء إلى فيينا لم يقرأ إلا خطاباً واحداً لزوجته .. الخطاب كله حب وخوف ، وحب وغيرة ، من أن تلتقط حوله إحدى شقراوات فيينا .. وينهدم كل الذي بنته الزوجة ، دمعة دمعة وابتسمة ابتسامة مع حبيبيها وزوجها .. ولم يحدث أن ذهب إنسان

إلى هذه البلاد منها كان حبه ومهما كان إيمانه دون أن يقع ضحية . .
والبنات في أوروبا أشطر وأجراً . . وعندها حكايات كثيرة
ومسلسلات في التليفزيون والكلام عن الذين ذهبوا ولم يعودوا . .
وعن الذين ذهبوا وعادوا بفتيات شقراوات وتخلت عنهم
الشقراوات . . وعden إلى أوروبا وتزوجن . . لتركهم الشقراوات في
أوروبا أو في مصر . . ومنهن من جاءت إلى مصر وخطفت أولادها
وعادت إلى حيث لا يعرف زوجها . . ومنهن من جاءت إلى مصر
وتربكت الأولاد إلى زوجها . . وبعثت له بخطاب تقول له : أشكراك
على عنياتك بهؤلاء الأولاد . . وأحب أن أقول لك : أن ليس من
بينهم واحد أنت أبوه !

واختفت .

ووقف « صابر » عند عبارة جاءت في نهاية الخطاب رقم (١)
لزوجته تهاني . . تقول « تهاني » : أنا عارفة أن الدنيا غير الدنيا . .
والناس غير الناس . . وأنا عارفة أن كلامي سوف يدخل من هنا
ليخرج من هناك . . أنا عارفة ولكن أنت قلت لي الكثير من
قلبك . . وأنت شاب مؤمن بالله . . ومتمسك بدينه . . وأنا أيضاً . .
فيما دمت لا تغضب الله . ولا ترتكب معصية واحدة . . ربنا سوف
يحميك ويعصسك . . ولذلك فأنا مؤمنة بالله ، الذي جمعنى معاك
على سنة الله رسوله . . فلا خوف على حبنا . . وأنا مؤمنة بالله . .
سبحانه وتعالى . . وسوف ينصرك الله على نفسك وعلى كل عدو لله . .
وعدو لحبنا وحياتنا ومستقبل أولادنا .

وأحسن «صابر» كأن زوجته «تهانى» الشابة الصغيرة قد رأت ما يراه في فيينا .. فكل شيء يغرس بالعصبية .. في كل مكان .. وكل الذين حوله قد انغمموا في كل شيء .. ويحاولون معه .. وهم لا يريدون إفساده .. وإنما هم يتصورون أنه واحد مثلهم .. ولا يمكن أن يقاوم كل شيء طويلاً .. إنهم فقط يريدون أن يفرضوا .. ولكنه أكد لهم من أول لحظة أنه يخاف الله رب العالمين ! .

ولم يتضايق كثيراً عندما أطلقوا عليه : عمنا الشيخ «صابر» .. واستراح إلى هذه التسمية .. لأن معناها أنه مختلف عنهم .. وأنه مُصرّ على ذلك .. وأنهم لا يحاولون دفعه إلى شيء آخر لا يريد وهو لا يريد لأنه يغضب الله .. وهو مؤمن بالله .. وما دام ربنا سوف يوفقه فكيف يعصاه .. زوجته قالت له ذلك .. وهو لا ينسى .. فليكن ما يعانيه هو جزءاً من كفاحه ضد الشيطان وفي سبيل الله ..

ولم يستطع «صابر» أن يقاوم في تلك الليلة .. فالليلة عيد ميلاد السيدة مرجريت صاحبة البيت .. وهي سيدة طيبة في الأربعين من عمرها .. وقد مات زوجها في أحد المستشفيات ، وهي تعامل المصريين كأخواتها وتصبر عليهم في الإيجار .. وقد تعلمت العربية وتستطيع أن تعبر عن نفسها .. وأن تجعل من يتكلم معها يضحك لأنها تلخصت في ترتيب الألفاظ .. تضع الأفعال قبل الأسماء وأحياناً بعدها على حسب الظروف .. والحدث معها ضحك لا ينتهي ..

وقالوا لصابر : اجلس وتفرج واضحك ولن يرغمك أحد على أي شيء .. والنمساويون هنا يحترمون كل إنسان له رأي .. ويؤمنون

بالحرية . فأنت حر في الذي تراه وتأكله وتشربه وتعاشهه وتؤمن به ..

و قبل أن ينزل معهم إلى أحد المقاهي في أطراف فيينا ، دخل دورة المياه وقرأ الخطاب الخامس لزوجته ثم قرأ الدعاء الذي أوصت به أمه .. تقول زوجته «تهانى» : حبيبي ونور عيني «صابر» .. قلبي معك ليلاً ونهاراً .. قلبي مخددة تحت رأسك .. قلبي عصفور يرفرف حوليك .. قلبي لحاف تتغطى به .. قلبي حارس لا يغفل ولا ينام .. حبي لك دعوات مستمرة بأن يحفظك الله ذهاباً وإياباً .. وربنا قادر على كل شيء .. قادر أن يحميك ويصونك .. ويحمي إيانك .. ويحمي قلبك الظاهر الطيب .. لا تخف من شيء فأنت في عنابة الله .. لا تهتز أمام أي شيء .. فالذي يتمسك بحب الله لا يهزه أي شيء .. أنت جئت إلى هذه البلاد الغربية ، بإرادة من الله سبحانه وتعالى ، وسوف تعود إلينا سالماً تماماً بمشيئة الله .. أنا أدعوك من كل قلبي .. وأمّي وأختي والذى في أحشائى ، لو عرف لدعا لك .. ألف سلامتك في كل خطوة ، في كل نظرة ، في كل لقمة ، في كل قطرة .. في كل عمل ..

كان ترسانة من السلاح قد التفت حول جسمه . فهو في حصن منيع . وكأن ألف «بلوفر» وألف بالطو قد أشاعت الدفء في كل جسمه .. وحتى لا يسخر زملاؤه منه وبعضهم قد أسرف في الشراب قبل الذهاب إلى هذه السهرة ، فقد جلس على أحد المقاعد وأمسك القرآن الكريم في يديه .. وراح يصل جالساً .. وعرف «صابر» أن الشيء الوحيد الذي لا يجرؤ أحد أن يعلق عليه هو إذا

أمسك القرآن .. فقد حدث أن حاول الصلاة جالسا ، فكانت السخرية من هذا الجمود وهذا الإصرار على أن يكون الإنسان غريبا .. ولذلك لم يعد يصلى جالسا ، وإنما يمسك المصحف ويتظاهر بأنه يقرأ والحقيقة أنه يصلى جالسا ..

وترزحوا في سيارة اتجهت إلى مكان بعيد من أطراف فيينا .. حيث عشرات .. مئات من المطاعم أو البارات فالناس يأكلون ويشربون .. ويضحكون .. وجلسوا حول عدة مناضد ضموها بعضها إلى بعض وبدعوا يشربون .. وجاءت السيدة مجريت ومعها فتاتان وسيدة .. وجلسن جميعا .. السيدة مجريت اقتربت وصافحته وقالت له باللغة العربية المكسرة : أهلاً وسهلاً .. أنت نورت فيينا ..

- شكرًا يامدام ..

- لا تقل مدام قل لي : مجريت .. وهذه جارتى ماتيلده وهاتان ابنتاهما ماريا وكريستينا .. وظلت تتكلم العربية التي تجعل أى مصرى يموت من الضحك ..

ثم قالت له : قد جئنا هذه الليلة لكى تضحك علينا .. وسوف تضحك علينا أيضًا ..
 هاها .. هاها ..

وجلس « صابر » إلى جانب مجريت .. وأما السيدة وابنتها فجلسن بين سبعة من المصريين الذين يعملون في فيينا والذين يتكلمون الألمانية ..

وقالت له مرجريت : شيء غريب في المصريين .. إنهم يشربون .. وعلى حرياتهم تماماً في كل شيء .. إلا شيئاً واحداً لا يأكلون لحم الخنزير .. وأنت أيضاً .

-نعم .

- ولكنك أكثر تمسكاً بدينك منهم .. لا تشرب ولا أى حاجة أخرى .. فهل ياترى تستطيع أن تصمد طويلاً؟ .

-إن شاء الله ..

- إنهم جميعاً في أول الأمر لا يتمسكون بذلك .. فهل أنت مثلهم.

-إن شاء الله سوف أتمسك بديني ..

- أنا أحب الذي له مبدأ .. ولكن ما الذي يجعلك على يقين من ذلك .

- لأنني مؤمن .. ولا أزال أصلح وأقرأ القرآن كل يوم ..

- فهل تتزوج من النمسا .

- أنا متزوج من القاهرة وزوجتى حامل وأنا أحبها وأكتب لها كل يوم خطاباً ..

- وهل تحب زوجتك إلى فيينا ..

- لا .. ليس الآن ..

- وماذا ستعمل هنا؟

- لا أعرف .. أنا كنت في مصر أعمل محاميا .. ولكن لا أعرف ما هو العمل الذي يناسب من لا يعرف اللغة الألمانية .. على الأقل حتى يعرفها ..

- بعض المصريين تزوج اثنين ..

- لن أفعل ..

- وإذا اضطررت ..

- لن اضطر إلى شيء من مثل ذلك ..

- أقول نفرض أنك اضطررت ..

- إذا اضطررت فسوف أعود إلى مصر فقد أحببت زوجتي وأخاف الله رب العالمين ووعدتها ألا أخونها .. وإذا وجدت نفسي مضطرباً إلى عصيان الله فسوف أعود إلى مصر ..

وكانت مفاجأة لصابر .. لقد اقتربت السيدة مرجريت واحتضنته وقبلته على خده .. قبلة طويلة دافئة .. وصفق المصريون .. وهلوا .. وقالوا : آه الأولي في الغرام قبلة .. الأولي في القبلات على الخد .. والثانية على الخد .. والثالثة على الفم .. والرابعة والخامسة .. والله وجد رجلك ياشيخ « صابر » .. والله وقعت ومفيش حد سمي عليك ياسيدنا الشيخ ..

وتضايق « صابر » .. ولكنهم خمورو حاولت السيدة مرجريت أن تخفف عنه .. واستطاعت السيدة مرجريت أن تجعله يشغل كثيراً عن الذي قالوه .. ثم طلبت أن تتحدث إليه على

انفراد . ونهضت وعلقت ذراعها في ذراعه . واحتضنته وقبلته على الخد الآخر .. ولم يستمع « صابر » إلى التعليقات التي رددها المصريون حوله .. فقد بدأ الصفير في أذنه وأحمر وجهه وارتبك .. ولكن مرجريت قالت له : اسمع ياشيخ « صابر » .

ـ أنا لست شيخاً .. إنهم يسخرون مني ..

ـ أنا ظنت أن اسمك شيخ « صابر » .. آسفه .. اسمع يا « صابر » لا تغضب من زملائك .. لقد أسرفوا في الشراب .. ولا تخاسب عقلك ، لأن عقلك حاضر وعقولهم غائبة .. والذين يشربون عادة يكرهون أن يجلس بينهم واحد لا يشرب ، لأنه لن يغرس لهم أخطاءهم الصغيرة .. ولكنهم ليسوا أشراطاً ، إنهم يحبونك ويحترمونك . وقد حدثوني عنك كثيراً ..

وهم يرون فيك الصورة النبيلة الرفيعة للمصري الشاب المؤمن المخلص لدينه ولزوجته والذى يحترم كلمة الحب ..

وكان ذلك أحسن ما سمع وأصدق نصيحة تلقاها من غير والدته منذ سافر إلى فيينا ..

وجلس يكتب كل ذلك لزوجته ..

الحلقة الثالثة

ووجد « صابر » نفسه مدفوعاً إلى زيارة السيدة « مرجريت » ..
ووجد السيدة « مرجريت » أكثر جمالاً مما رأها في الليل . وجهها
أبيض أحمر وعيانها زرقاء وإندا ضحكت أشراق وجهها ..
ولاحظت ارتباكه فاقترن ومدت يدها تصافحه . وتطلب إليه أن
يتفضل بالجلوس وقد أعدت له الشاي والكيك .. وعندما كانت
ترد على التليفون كان هو يتتجول بعينيه في الشقة .. نظيفة ..
منظمة أنيقة جميلة .. بسيطة .. ورد وزهور في كل مكان .. على
المائدة وفي النافذة وفوق رفوف الكتب .. وعلى الحائط صور لها وهي
شابه ، وصور لأولادها أو إخواتها ..
وبادرته قائلة : أنت سوف تتناول غداءك معى ..
ولم تقل : معنا ..

أى إنها سوف يتغدى معها وحدها . ولم يقل زملاؤه إنها سيدة
سيئة السمعة .. وإنما قالوا : إنها تخدم المصريين وتساعدهم .. ولم

يلاحظ أن أحداً قد تجراً عليها .. أو تهجم عليها .. إنهم أيضاً يحترمونها .. وعرف أن احترامهم لها ، لم يجعل واحداً منهم يأتي إليها مع صديقتها .. وإنما احتفوا بها وحدها هي وصديقتها وابتني هذه الصديقة .. ولابد أنها لاتحب أن تكون مع صديقات المصريين .. ولابد أن صديقاتهم دون مستواها شكلاً وخلقاً - هكذا كان « صابر » يفكر عندما جلس إليها وراح يفكر في الذي يراه ، والذي رأه في تلك الليلة ..

فلم يلاحظ في تلك الليلة ، أنها ترتحت من الشراب أو أنها تلعمت في الكلام .. أو قالت كلاماً هلل له المصريون أو تصاححوا .. إذن هي سيدة محترمة لنفسها ، وغيرها يحترمها أيضاً ..

وسأله : هل تعرف يا « صابر » أن بعض هؤلاء الشبان قد تزوج .. طبعاً سوف تسألني ، ولكنهم ينامون معاً بعيداً عن زوجاتهم .. بعضهم عنده أولاد بلا عقد زواج .. وبعضهم متزوج قانوناً ولكن اتفق الزوجان مؤقتاً ، على أن تقيم الزوجة في بيت أهلها أو بيتها القديم ، ويبقى هو مع زملائه حتى يتمكن الاثنان من استئجار شقة مستقلة .. ولا أعرف ما الذي ستفعله أنت هنا إذا طال بقاوئك وحدك .. هل يضايقك أن أتحدث بهذه الصراحة ..

- لا .. إنني أخبرت زوجتي في خطاب كتبته لها اليوم عنك وإنني سوف ألتقي بك هنا .. وإنني أكن احتراماً لك ، ولذلك لبيت هذه الدعوة ..

- وأنت تقول لها كل شيء ..

-نعم . اتفقنا على ذلك ..

-أنت شيء نادر في هذه الدنيا .. ولذلك فأنا أخاف عليك ..

لَا خوف بِمَشِيَّةِ اللهِ ..

وراحت « مرجريت » تحدثه عن كل زملائه .. فحدثته عن « درويش » هذا الطويل النحيف .. إنه متزوج في مصر .. وهو يعيش في فيينا من تسع سنوات .. وقد طلق زوجته في القاهرة بعد أن أنجبت له ثلاثة أطفال .. وتزوج في فيينا واحدة تعمل جرسونة وليس على وفاق .. فقد عرف فتاة غيرها .. وهى عرفت شاباً غيره .. عرفت واحداً مصرياً أول الأمر لكي تغطيه .. ثم تركته إلى شاب هندي .. ولذلك فهو كثير المرح والشراب أيضاً إنه ليس سعيداً .. وقد توقعت له ذلك ..

وسأله : ومن هو أحب هؤلاء المصريين إليك .. « فريد »؟

-نعم . وكيف عرفت ذلك ؟

-لاحظت ذلك .. فقدرأيتكم تتنقل حتى جلست إلى جواره ثم لم تغير مكانك ولم تتوقف لحظة عن الحديث إليه .. فهو أقلهم تناولاً للشراب .. وهو أيضاً له حكاية .. جاء إلى فيينا متديننا .. ثم بدأ يتحلل من الواجبات الدينية .. وصارحنى بأنه لا يزال متدينا وأنه يخاف الله وأنه يريد أن يتزوج ، وفي نفس الوقت لا يعرف أحداً ولكنه قرر أن تكون له غرفة وزوجة .. وبعد ذلك أولاد .. ولا يريد أن يعصى الله .. فهو ريفي شديد الإيمان .. ونصحه المصريون أن يتزوج عرفياً من إحدى النمساويات .. وتزوجا .. وفوجيء بأن

هذه النمساوية قد تزوجت عرفيًا من مصرى آخر . وكانت فضيحة .
وصدمة عنيفة له . ولم يستطع أن يتجاوز هذه الصدمة إلا أخيراً
جداً . ولكنك إذا جلست إليه طويلاً للاحظ أنه يسرح كثيراً .
ومعنى ذلك أن أعماقه تغلى . وأنه عميق الفشل وأنه شديد الندم .
 وأنه مفضوح . وأن كل حساباته كانت خاطئة . وأنه مصدوم في
المرأة النمساوية . وأنه أخطأ خطأ فادحاً . ثم لا يعرف كيف
يعيش طاهراً بلا زواج وكيف يتزوج بعد ذلك .

- فماذا فعل بعد ذلك . وكيف استطاع أن يتمسك بدينه ؟
قالت له « مرجريت » وقد اقتربت منه ووضعت يدها على يده .
ومالت على كتفيه لحظات وقالت له : لم يجد إلا حلاً واحداً .
- ماذا ؟

- يهمك أن تعرف .

- نعم ..

- وهل تريد أن تفعل مثله .
- لا . لا . فقط أن أعرف ..

وضعت يدها على يده وهي تقول لقد تزوج أرملة أكبر مني في
السن . كانت زميلتى في الدراسة وهي تملك شقة تؤجرها
للأجانب . بنسيون صغير . وهي أكبر منه بعشرين عاماً وهما
سعidan . وهي لم تحضر إلى عيد ميلادى لأننى لم أدعها .
- ولماذا ؟

- لأنها لا تحب أن تبدو كبيرة وسط عدد من الشباب .

- أنت عندك كل المعلومات عن كل المصريين .

- نعم .. إنني أحبهم ..

- وهم يحبونك ..

- إلا أنت .

- بل أحبك .

- مثل زوجتك .

- مثل اختي ..

- ألم يكن الفراعنة يتزوجون أخواتهم .

- فعلا ولكن في الإسلام وفي كل الديانات حرام ..

- أعرف .. إنما أنا أدأبك !

- وهل تعرفين بالضبط ما هي حكاية « رافت » ؟ .. إنه أكثر هؤلاء الزملاء هدوءاً وقاراً وكأنه يمشي في طابور طويل من المهمومين ولا يريد لأحد أن يقترب منه أو يسأله عن أي شيء .. وأنا لاحظ أنهم يحترمون مشاعره هذه .

- تمام .. إحساسك مضبوط .. إنه الآن أكثرهم وقاراً .. ولكن لم يكن كذلك .. ولكن التعلasaة علمته الأدب .. والهموم فرضت عليه الوقار .. إنه مربوط بسلسل في يديه وقدمييه .. ولذلك فهو لا يتحرك .. لا يقوى على الحركة ..
- ياه .. مأساة إذن ؟ ! .

- هي كذلك .. ففي أول أسبوع من وصوله إلى فيينا .. عرض الزواج على فتاة كانت هي الأخرى في محبته .. وترى أن تنتهي هذه

المحنة بأى شكل .. وكان هو الشكل الغريب العجيب الذى تريده.. تزوجا . واختلفا بسرعة . ضربها فأدخلوه السجن . وخرج من السجن .. وطلقها .. وكانت حاملاً فأنجبت له ولدًا لابد أن ينفق عليه .. وهى تعيش مع شاب آخر بلا زواج .. ثم تزوجت هي .. وتضائق هو فتزوج صديقة لها .. واكتشف أن زوجته هذه هي عشيقه الشاب الذى تزوج زوجته السابقة .. المصيبة الكبرى أنها هي الأخرى كانت حاملاً وأنجبت ولداً لابد أن ينفق عليه.. الشاب يفهم اللعبة أو يتعظ .. أبدًا كان يتصرف بنفس الطريقة ويلقى نفس المصيبة .. واكتشفت أنه في أعقابه متدين جدًا .. وأنه لا يقوى على الحياة بلا زوجة شرعية .. وأخيرًا من سبعة شهور عرضوا عليه أرملة مصرية تعيش بعيدًا عن فيينا .. قابلها .. جلس إليها .. حكى لها مصيبيته .. وحكى عن مصيبيتها .. هو كان صادقًا لم يخف عنها شيئاً ، وهى قد أخفت عنه كل شيء .. لم تقل له إن زوجها لم يمت .. وإنما هو دخل السجن بسبب النصب والاحتيال .. وأفلح المصريون في أن يطلقواها .. وقبل خروجه من السجن بأيام تزوجت «رأفت» هذا .. ولم تقل لرأفت شيئاً عن ذهابها إلى السجن وزيارة زوجها السابق .. وتقدم بعض المدانا له .. وخرج الرجل من السجن وعرف عنوانها وذهب إليها .. وعاد الزوج ليجد رجلاً غريباً في البيت .. وطبعي أن يتشارج الرجالان وأن ينتصر الأقوى فحطم ذراع الضعيف .. فقد حطم ذراع «رأفت» .. ذراعه الأيسر لحسن حظه .. لأنه يعمل في إحدى الصيدليات .. وطبعي أن يطلقها «رأفت» .. وكما ترى فهو رجل

تعيس .. لم يرحمه القدر .. وهو كما ترى عبرة لكل من يقف في اتجاه
الرياح العاتية متواهما أنه أقوى من الريح ..

ثم سكتت .. سكتت دقيقة .. أو عشر دقائق .. كان
السكون طويلا .. وعندما رفع عينيه إلى عينيها وجدها تنظر في
أعماقه .. إنها ..

واخترت هى حائط الصمت وقالت له : يهمك جدًا أن تعرف
حكایة «شريف» .

- «شريف» ؟ ولكنه لم يكن موجوداً ليلة عيد ميلادك .. ولا أراه
إلا قليلا .. وهو أقلهم تهريجا .. وفي كل مرة سألت عنه قالوا لي :
إنه مشغول جدًا .. ويعمل بعيداً خارج فيينا ..

- إنه مشغول فعلا .. ولكنه لا يعمل بعيدا .. وإنما فقط يريد أن
يكون بعيدا ..

- لا أفهم ..

- سوف تفهم .. إذا ..

- إذا ماذا ؟

- إذا ..

ولم تجد عينيه لكي تنظر فيها .. لقد أطبقها ..

وعادت تقول : «شريف» هو المسكين بين هؤلاء .. إنه
مسيحي .. وهو غير قادر على أن يطلق زوجته .. وزوجته هي
صديقتى التي رأيتها في عيد ميلادى ..

- أكبر منه ..

- وأغنى منه أيضاً .. وعندها بيت صغير . ومطعم .. وهو كان يدير هذا المطعم ولكن عندما اختلفا ذهب يعلم بعيداً . ولم يشاً أن يحضر عيد ميلادى لأنه ما يزال على خلاف معها ..

- لماذا؟

- حكاية طويلة .. تزوجها عن حب لها .. وووجد صعوبة في أن يعيشَا معاً في بيت به فتاتان ناضجتان .. وهما أصدقاء كثيرون .. أحياً يجد ابنتها وصديقاً لها في البيت وحدهما .. وتضيق وحاول أن يؤكّد لها أنه شرقى وأنه لا يوافق على ذلك .. ولكن الأم أكدت له أنها لا تستطيع أن تلوم ابنتها أو تنتقدها لأى سبب .. فهي حرة .. لأنَّه لو طلقها فسوف يدفع مبلغاً كبيراً من المال ، ثم إنَّه مدین لها بعشرات الألوف ..

وسكتت .. وسكت هو أيضاً .. وتهياً للوقوف .. وقبل أن يتناول الغداء .. بل لا يريده غداء أو عشاء فالذى سمعه يصدق النفس عن الطعام ويسلِّمها تماماً ..

ثم أيقظته من سرحانه الشديد بأنَّه أمسكت يديه معاً .. وهي تقول له : ولكن في الإسلام من السهل عليك أن تطلق زوجتك في أي وقت .. وتنتهي كل المشاكل .. صدقني .. إنَّى فكرت في ذلك بعد أن سمعت عنك ورأيتك من بعيد دون أن أجلس إليك ..

الحلقة الرابعة

أغلقت «تهانى» الباب عليها .. وجلست تقرأ بعنایة شديدة خطابا جاءها من «صابر» .. وتضع يدها على قلبها وتکاد تموت خوفا مما قد يصدماها في هذا الخطاب .. ليس الخطاب الأول .. وإنما جاءتها خطابات كثيرة .. قرأتها عشرات المرات ووضعت خطوطا حمراء وسوداء تحت كلمات وعبارات في هذه الخطابات .. وتناقشت فيها مع أختها والدتها .. وأحيانا مع حماتها ..

وهي تارة تقرأ الخطاب من أوله وتارة من آخره ..
وتقارن بين البداية هنا وهناك والنهاية هنا وهناك ..

وكم مرة ذكر اسم «مرجريت» .. وكم ذكر اسم «ماتيلد» ..
و«كريستين» وأحيانا يصف كل واحدة بصفة .. وأحيانا يضيف صفات جديدة .. وتقارن بين كل الصفات التي أطلقها على كل واحدة ..

ولكن الذي أقلقها كثيرا جداً ليست «مرجريت» فهي سيدة أكبر

منه وهى سيدة محترمة . هو يقول ذلك ..

ولكن واحدة جديدة اسمها «ديجا» .. دلع «خديجة» ..

وتقراً لأختها ما جاء عن «ديجا» هذه . يقول «صابر» :

وحدثهم كلهم يتكلمون عن «ديجا» .. كل واحد عنده مشكلة يذهب إلى «ديجا» .. كل واحد مزنوقي قوشين يتوجه إلى «ديجا» .. كل واحد له مشكلة في السفارة : عليك بديجا .. وخفت أن أسأل عن «ديجا» هذه حتى لا أقع في مقلب وحتى لا يؤلفوا حكايات روايات عن «ديجا» هذه ..

وتنتظر إلى أختها وتقول : حكايات روايات عنه .. ياترى أيه اللي عملته يا «صابر» وألتفوا عنه حكايات روايات .. أنت بدأت تخفي عنى الحكايات والروايات والآن وقعت بلسانك يا «صابر» .. وقع بسانه شايفه .. وده اللي بأقول عليه عاقل وبتابع ربنا .. يظهر مفيش حد لا عاقل ولا بتابع ربنا .. شايفه يا «فتحية» أحسن بقولي لي أن «صابر» لا نظير له في الدنيا .. أدى إنت سامعة اللي بيقوله «صابر» ..

وتقترب أختها من الخطاب .. وتقول لها : هاتي أنا أقرأ هذا الخطاب .. أين هذا الكلام ..
ـ قدامك .

ـ أين ؟

ـ هنا ..

وتشير إلى أسفل الصفحة ..

- ولكنني لا أجد كلمة واحدة من هذا الذي تقولين .. من أين أتيت بهذا الكلام ؟

- من أين ؟ لابد أنه كان سيقول هذا طبعا .. وماذا تظنين أنه سيقول ..

- يعني الكلام ده من عندك أنت ..
- لابد أن يكون كده ..

- والله انت اتجننت .. أنت تخترعين كلاما وتحاسبين عليه الجدع .. ياشيخة حرام عليك .. الله يلعن أبو الحب اللي حيجهتك .. إذن كل الحكايات التي تقولينها عن « صابر » من اختراعك أنت .. أتعوذ بالله .. حرام عليك .. على رأى المثل : مالقوش في الورد عيب قالوا له : يا أحمر الخدين ..

- هه ياختنى .. اللي أحمر الخدين .. واحدة اسمها « ديجا » ..
اسمها « خديجة » وهو بيدلها يقول لها يا « ديجا » ..

- اسمعى أنا مش قادرة أفهم منك حاجة . طول الوقت قاعدة تعيطى وتقولي كلام غير الموجود في الجواب .. أنت عاوزة تطيرى عقلى أنا كمان .. لما تبطلى عياط السنة دى أبقى ابعتى لي .. تصبحى على خير ..

وتذهب « فتحية » لوالدتها وتسألاها عن أختها « تهانى » .
وتقول لها « فتحية » ياما ماما بنتك دى انھيلت .. ياما ماما ضربت لي

تليفون الحقيني .. نزلت أجرى من البيت و كنت حدوس الناس في الشارع .. مش شايفه السكة قدامى .. حتى قلت للشغالة تنزل تستنى الأولاد أمام البيت .. إياك سواق أتوبيس المدرسة يقف أمام الباب بالضبط .. والله الشغالة اللي عندي كبيرة ومريضة .. رحت لقيت «تهانى» حتموت من العياط بتقرأ جواب جالها من «صابر» .. وكل ما يجي لها جواب له تبعت لي وتجننى .. الجدع بيكلمها بمنتهى الصراحة .. وهو كمان عبيط لازم يقول لها كل حاجة .. إن قابل واحدة راح يصف شكلها وفستانها واسم البارفام اللي هي طاه .. لازمته إيه هو مش عارف إن مراته مجنونة .. ليل نهار تقرأ الجوابات من آخرها مرة ومن أولها مرة .. وجواباتها عاملة زى كتب المدرسة .. معلمة بالأسود والأحمر تحت الكلمات .. كأن الجدع في امتحان .. وإذا قال لها مرة حبيبتي زوجتى .. ونسى في المرأة اللي بعدها وقال لها : زوجتى حبيبى .. يبقى اتغير .. المهم عندها الحب اللي أدى إلى الزواج .. مش الرواج اللي أدى إلى الحب .. هو أحبها أولا وبعد ذلك تزوجها .. اتغير .. وإيه اللي غيره .. ويلاوقة سوداء لو أنها جوابه من غير ما يقولها تصبحى على خير يا أحب الناس .. تصوت وتلطم وتقول إنه قال نفس العبارة لوالدته .. يعني أنها هي ما بقتتش أعز الناس وأحب الناس .. والله يامااما أنا تعبت .. وأنا إذا طلبتني مرة ثانية أنا لا يمكن حاروح .. مجنونة !

وفتحت الأم شنطتها وأخرجت منها عدة جوابات وهي تقول :

عارفه دول إيه .. جوابات بعتها « صابر » لأختك .. أنا أخذت هذه الجوابات بالقوة .. وحلفت عليها إذا لم تعطني هذه الخطابات فلن أدخل بيتها .. يابنتي طول الوقت تقرأها وتعيط .. أنا قرأت الجوابات والله يابنتي ما فيها حاجة وحشة أبداً .. كل كلامه حلو وشاب مستقيم ويتاع ربنا .. ويبحكي لها عن كل اللي حصل له .. وكل اللي حصل للمصريين هناك .. وشوف أدب الجدع .. كل ما يبحكي لها حكاية يقول لها : إننى أمسك الخشب .. الحمد لله ربنا أعطانى واحدة أحسن من كل دول .. يعني كل واحدة بتفكره فيها .. ولما يفتركتها يقول إنها هدية من عند ربنا .. هل فيه كلام أحلى من كده ؟ .. ومرة حكى لها حكاية واحدة وصفها بأنها جميلة .. وأن هذه الجميلة قد خانت زوجها مع واحد من زملائه المصريين .. ونسى يقول في نهاية الحكاية إن « تهاني » أجمل منها .. نسى .. فقالت لي : آه .. هي دى .. اللي خانت جوزها .. مين عارف يمكن خانته مع « صابر » .. وعلشان ما قالش إننى أحسن منها .. هيه اللي خلته يتآخر عن كتابة الجوابات ثلاثة أيام .. ثلاثة أيام وهى تنتظر على نار وصول جواب واحد .. ولكن « صابر » ولا هو هنا .. حاولت أفهمها أنه يشوف أكل عيشه وبلاش يشغل نفسه بحكاية الجوابات .. الولد يابنتي عايش عيشة الكلاب .. ولكنه لا يتكلم .. إنه ينام مع عشرة في غرفة واحدة .. تصوري .. إنه لا يعرف كيف يدخل دورة المياه .. وهو الذى يجلس بالساعات فى مصر يقرأ الصحف ويشرب القهوة .. ولا يعرف كيف يصلى .. ولا يعرف كيف يستحم .. أنا كتب لي جوابا بهذا المعنى .. ولكنه لو

كتب لمراته الكلام ده لقالت حكايات وروايات مالها أول ولا آخر ..
وأنا لو وريتها الجوابات اللي بعتها لي « صابر » حتقلب الدنيا ..
إزاى وإزاى .. وعلشان كده أنا أرجوك ما تجبيش لها سيرة .. دي
مجنونة ..

- وبعدين ياما ما .. حنعمل إيه ؟

- العمل عمل الله .. ولا حاجة .. أنا مش حاقولك « صابر »
ي يعمل إيه . ولكن « شوقي » و « شوقي » ابن اختي هو اللي حيقول
لك وأهو جاي دلوقت ..

- « شوقي » ؟ كان في فيينا ؟

- لا .. ولكن زميله في الدراسة عنده أجزاخانة في فيينا .. وهو
يعرف « صابر » وعرض عليه العمل ولكن « صابر » رفض لأنّه عازز
يشتغل حاجة يفهمها .. حاجة لها علاقة بالقانون أو تاريخ مصر أو
آثار مصر .. ويمكن « صابر » يشتغل في مكتب سياحة .. يمكن
ده « شوقي » اللي بيقول ..

ودق جرس الباب وكان د. « شوقي » هو القادر : أهلاً ياتانت .

- أهلاً ياحبيبي .. والله يا « شوقي » لازم تقول « لفتحية »
حكايات وروايات « صابر » في فيينا .

- حكايات وروايات .. والله الرجال لا له حكايات ولا
روايات .. ده رجل لم يدخل سينما ولا أوبرا حتى هذه اللحظة .. ده
بعد يومين من وجوده في فيينا سأ لهم : امال حتصلوا الجمعة فين ..

وضحكوا جميعا . فلم يحدث أن واحداً منهم قد صلى أو سأله إن كان هناك جامع على الإطلاق .. وهو لا يشرب ولا يدخن .. ولا يذهب إلى الحانات ولا إلى الكباريئات .. وهم مندهشون لذلك .. وهو مصر تماماً أن يظل نظيفاً طاهراً ، وإن الدين قادر على أن يصونه ويحimيه .. وهو دائم الكلام عن مراته « تهانى » وعن ابنه « محمد »
عندك كم سنة ابنه ؟

- ابنه .. ياحبيبي مراته ما تزال حاملة في السابع .. لم تلد ولتكنه
يعلم بأن يكون له ولد .. والله جدع طيب جداً ومفيش منه أبداً في
الزمان ده .. ولكن مالوش بخت اللي التجوز بنت مجونة زى تهانى ..
وأنت تعرف الستات اللي يعرفها ..

ـ سـتـات ؟ وـيـعـرـفـهـا .. وـلـاـسـتـاتـ وـلـاـحـاجـة .. هـنـاكـ يـطـلـقـونـ
عليـهـ اـسـمـ عـمـنـاـ الشـيـخـ «ـصـابـرـ» ..

- مراته حتتجن وتعتقد أنه يعرف ألف واحدة وكل يوم يتتجوز
واحدة ويطلقبها .. شهريار يعني ؟!

وسأله «فتحية» : إن كان من المعقول أن يظل شاب بهذا
الشكل في فينا ؟

وقال لها « شوقي » : والله « صابر » ما زال بهذا الشكل حتى الآن . بقى له أداء يه دلوقت .

-.قرب على شهر ونصف .-

- شهر و نصف ؟ ! بس ؟

- حرام عليكم .. أنتم مستعجلون على فساد الجدع لسه ..
لسه .. لسه .. ياطانط أجدع جدع وأرجل رجل ياخد شهراً واحداً
في فيينا .. وبعد كده يارهان يارحيم .. كلها كام يوم و «صابر»
حيقى الخواجه «صابر» .. أو «صابرمان» .. دى بلد ياطانط
تدوب الحديد ..

- أنت لما رحت فيينا؟

- لما رحت؟ قبل ما أروح ..

- ما سمعتكش مراتك أنت كمان ..

- يا أختي سمعت وشيعت «سمع» وقلت لها .. أنا كده واللى
عاوزنى زى ما أنا .. والا الباب يسع جمل ..

- أنا عارفه مراتك عاقلة .. راح تجربى هنا وتنظر هناك والآخر
يرجع لمراته وولاده .. مراته عاقلة جداً وعارفه أنه فى يوم من الأيام
ربنا حيهده ..

- والله واتهديت والوقت ماشى جنب الحيط .. وهى سعيدة
قوى ..

- لكن تهانى لسه صغيرة وعلشان كده مجونة ..

- فيه حاجة جديدة ياطانط ..

- أبدًا يا ابني هو نفس الموال اللي نعيده نزيده .. واللى نزيده
نعيده ..

وودنك فين ياجحا .. حكاية مالهاش أول ولا آخر .. ولا قادرة

أشوف بنتى بتعيط ليل نهار ، ولا قادرة أسيبها ولا قادرة أرجع لها جواباتها .. ولا قادرة أقول لها عن الجوابات اللي « صابر » بيعتها لي . ولا الجوابات اللي بيعتها لأمه .. هي مش عاوزاه لا يكلم حد ولا يشوف حد ولا يكتب حد غيرها .. يبقى إزاى يا ابني .. حد يعقلها أنا تعبت ياشوقي .. تعبت والله ومشيلانى الهم .. والخدع من أحسن الشبان اللي في الدنيا ..

- أكلمها ياطانط .

- لا يا ابني مش حتقدر عليها .. حتفتكر أتنى اللي بعتك لها .. وإننى فضحت بنتى وضحكت عليها العالم كله .. لا يا ابني فى عرضك .. ولا كلمة . أرجوك يا ابني أنا مش ناقصة وجع قلب والا إيه يا « فتحية » . ؟ .

- والله ياما ماما .. كلامك مضبوط .. « تهانى » لا تعرف المزار .. أنا من كام يوم باهزر معها وبأقولها أنا لو كنت « صابر » لطلقتك والتجوزت واحدة غيرك .. ياخبر على اللي حصل ياما ماما .. أبوس إيديها ورجلها .. وأقول لها : ياخختي بأصحلك .. باهزر .. أنت عارفة أنا باحبك قد ايه وبباحبه هو كمان .. والله هزار ضاحك .. حقتك على .. أنا غلطانه اضربي بالجزمة .. غلطانة . كانت ليلة سوداء لما كان جوزى أنا حيطلقنى .. سايباه في البيت عيان وقاعدة صالح في المجنونة أختي .. تصورى ياما ماما قالت لي وبعلتها ولم افتح فمى قالت : أنا عارفه إنك حطيت عينك عليه .. خديه أبلعهه وبالهنا والشفا .. اشمعنى أنت اللي مش عاوزه تخربى

بيتى .. تصورى ياماما !

- الحمد لله اللي أنا كبرت وما بقتش تقول لي : أنا كمان حاطه عيني
عليه .. هاها .. هاها ..

- تعرف ياماما .. ممكن تقول لك كده ..

- أنت يابنت تجنبت أنت كمان وإلا إيه ..

- لا والله ياماما أنا بأكلمك جد .. لأنه فيه واحدة صاحبة
بنسيون عندها خمسة وخمسين سنة تزوجت واحداً من المصريين ..
و«تهانى» متأكدة أن الدور على «صابر» .. هاها .. هاها ..
ـ ده باين إحنا كلنا اتجننا .

.....-

الحلقة الخامسة

بعد تناول العشاء في أحد أيام الأحاداد في مدينة فيينا الجميلة جلس
أربعة من الزملاء المصريين يتسط عليهم « صابر » ..

و « صابر » هو الذي استدرجهم إلى الكلام عن أحواهم . ليست
لهم شكرى على ما يبدوا . كل واحد الآن قد استقر في عمله واستقرت
حياته . ومن حين إلى حين يتحدثون بنعمة الله بأنهم قادرون على أن
يكونوا نافعين مشرفين لبلدهم .. وكل واحد قادر على أن يتصل
بتليفونيا من حين إلى حين بأهله .. وبأن يبعث بهدايا وأموال إلى
أقاربه وإلى أولاده ..

وكان « صابر » هو أول المتكلمين قال : يا إخواننا لابد أن نعيد
النظر إلى الوراء قليلاً .. نحن بفضل الله قد نجحنا .. وأننا شخصيا
بفضل من الله سبحانه وتعالى وعون منكم .. الحمد لله .. ربنا
سترها معانا .. وربنا يكمل لنا بالخير والمحبة بقية حياتنا ..
« فوزى » : جالك كلامي يا « صابر » .. أنا قلت لك من أول

لحظة كل شيء له ثمن .. كل شيء .. لو قلت لواحد صباح الخير
ورد عليك وقال لك يا صباح النور .. لابد من ثمن .. لا شيء هنا
لو وجه الله ..

«صابر» : ليس إلى هذه الدرجة .. فأنت جميعا قد ساعدتوني
لو وجه الله تعالى ..

«فوزى» : أنت حالة خاصة .. ونحن معا واجب علينا أن
نتعاون .. فنحن في غربة .. وأهل وعيش وملح .. كلامي كله
على الخواجات .. أنت مثلا هل كان من الممكن أن تعمل في شركة
أدوية أو حتى تدخلها ببرجلك ، لولا أنك تزوجت «مرجريت» ..
أبداً لولاهما .. ولولا أن «مرجريت» أحبتك حباً شديداً ولولا أنها
أيقنت أنك مختلف عن جميع زملائك .. وهى التي أصرت أن تبقى
على جميع مبادئك .. لا تشرب ولا تدخن وتصلى .. وأكثر من ذلك
أن تشهر إسلامها .. ليس في الدنيا كلها أعظم من ذلك .. وكل
شيء بثمن .. الشمن أنها تزوجت شاباً زى الورد .. باسم الله ما
شاء الله جدع ، وابن بلد ، وذكى ، ومستقيم ، ومن النادرين الذين
يعرفون ربنا ..

«بدوى» : المهم أن يعرف الشمن .. ولكن المصيبة أننا عندما
جئنا إلى هذه البلاد كنا نتصور أن الشمن هو الجنس أو هو الحب ..
وكان غلطتنا .. فالناس هنا ليسوا مجموعة من الحيوانات ..
ولكنها مفهومات خاطئة .. هذه المفهومات دفعنا ثمنها غاليا .. أنا
شخصياً انتقلت من بيع الصحف إلى بيع السنديوتشرات إلى

الصحف .. إلى بيع السجق .. إلى العمل عند بلدياتى .. إسحاق .. بلدياتى من أسيوط وهنا يسمونه « ايزاك » .. وكان « ايزاك » أسوأ من أى واحد نمساوي ..

« عرفان » : « ايزاك » لم يكن سيناً .. وإنها هو مصرى شرقى صميم .. اسمع يا « بدوى » أنت عاكسست مراته .. حصل ولا لا؟ « بدوى » : أنا؟ هى التى عاكسنتى .. هى التى كانت ترتدى الملابس العريانة وأنا موجود فى البيت .. وتنمایل وتتدلى فى عنایة .. يبقى المعنى إيه؟

« عرفان » : لا ليس صحيحًا .. أنت كنت تذهب إلى بيت « ايزاك » عندما تعلم أنه مسافر .. وكانت زوجته حريصة على احترام عادات وتقالييد المصريين فكانت لا تتركك تقف أمام البيت وأنت قد جئت بلا موعد ، فكانت تجعلك تدخل بسرعة ولا توقفك على الباب .. وأية سيدة في يوم إجازتها وفي بيتها وعلى حريتها لابد أن تكون في ملابسها الخفيفة ..

- يعني أنا قليل الأدب؟

- حاجة زى كده!

« صابر » : لا داعى للخناقة يا إخواننا هذه حكاية قديمة .. اللي فات مات .. ويجب أن يموت نهائى .. هل في استطاعتى أن نغير الماضى .. انتهتى .. المشكلة هي المستقبل ..

« بدوى » : « صابر » ألم تنصحه بأن يتزوج ف زواج

«مرجريت»؟ .. لأن زوجته في مصر ستقع ميتة .. وقليل إن ما كانت ترمي ابنه «محمد» من الشباك ليسبقها إلى القبر .. ولكن جاء زواجه أحسن شئ في الدنيا .. هي لا تبدو كبيرة .. بل ازدادت حلاوة وشبابا ، وهو إرداد وزنا وبعد أن أطلق شاربه يبدو كأنه أصغر منها بسنوات قليلة .. فهل كان في استطاعة «صابر» ما دام حريصا على دينه ، أن يفعل ما هو أحسن من ذلك .. أبدا .. لو دار حول الأرض واستعرض جميع نسائها فلن يجد زوجة وأختا وأما أجمل ولا أصدق من «مرجريت» .. بلاش «صابر» أنت بالذات يا «عرفان» أنت تزوجت مصرية ونحن جميعاً نعرف ماذا حدث .. ثم تزوجت واحدة مجرية وحكياتها وصلت للبوليس وللسفارة المصرية ..

واستطاعت هي أن تبعث بخطابات إلى كل أهلك .. وزى ما أنت شايف فإن «عرفان» لا يفتح فمه بكلمة إذا ذكرنا هذا الذي حدث .. ويعتبر أنه دفع ثمن اندفاعه وطشه غاليا جدا .. ولا يزال يكع .. أقول ولا كفاية كده ..
«صابر» : الحل إيه ؟

«عرفان» و «بدوى» و «أيمن» : حل إيه :
«صابر» : أعمل إيه مع زوجتى وابنها وأمى وأختى وحماتى .. أقول لهم .. أنا تعجب من الكذب .. والكذب الذى أردده في كل خطاب هو أننى لم أتغير .. وفعلا أنا لم أعص الله سبحانه وتعالى ولا مرة .. فأنا زوج على سنة الله ورسوله .. وزوجتى بين مصدقة وغير

مصدقة .. ولكن اعتقادها قوى في إيمانى بالله .. وما دمت مؤمناً
بأنه فإن هذا الإيمان يعصمني من الخطأ بأن أعرف امرأة أخرى
غیرها .. وهي لا تتصور لحظة واحدة أنني تزوجت ..

«عرفان» : مع أن الزواج حلال .. ومن اثنين وثلاثة .. ولكن
القانون هنا يمنع تعدد الزوجات ..

«صابر» : إذا قررت العودة إلى مصر لأى سبب فسوف أطلق
«مرحبيت» .. مع الأسف .. ولكن المستحيل هو أن أحافظ بها
حتى إذا لم تجئ إلى القاهرة .. فهذا زواج وضعه الظروف الصعبة
جداً التي يمر بها أي إنسان غريب في بلاد غريبة ..

«فوزي» : إياك أن ترتكب الخطاقة التي ارتكبتها أنا من قبل ..
فأنا غلطة غلطة عمرى .. طلقت واحدة نمساوية واستحضرت
زوجتي من القاهرة .. وبسرعة ياخى لا أعرف كيف استطاعت
زوجتي أن تعرف كل تاريني الأسود في هذه البلاد .. كم زوجة ..
وكم صديقة وكم فضيحة وكم استجواب في البوليس وكم تهديدًا
بالطرد .. وكانت قد أخفيت كل هذه الحقائق ..

«صابر» : حتى لو كانت زوجتي مثل «مرحبيت» ..

«عرفان» : لا يا حبيبي .. كان غيرك أشطر .. الصنف كله
زى بعضه .. أستاذة الجامعة مثل الخادمة .. زى بعض .. كلهم
ستات .. وكلهم عندهن غريزة كشف الكذب .. ولا يمكن أن
نخفى عن المرأة أى شيء .. إنها تشم النساء الآخريات . كيف ؟ أنا
لا أعرف أبداً .. ياخى يظهر على وجوهنا .. في عيوننا .. في

رائحة ملابسنا .. في رائحة أجسادنا .. أنا حاتجنب لا أعرف كيف؟.. أنا كنت قبل أن أعود إلى البيت أذهب إلى بيت أصدقائي .. وآخذ الدش .. وأضع العطور .. وأغسل أصابعى وأسنانى .. وفي لحظة واحدة تجدها يأخذى عرفت بسرعة أننى غيرت الكولونيا فأين كنت؟ ثم إن الكولونيا التي وضعتها جديدة لأن رائحتها ما تزال قوية .. وليس لي رائحة عرق فهل لم أذهب إلى عملى؟ .. ورائحة فمى معجون أسنان فأين كنت؟ .. تصوروا دول أولاد عفاريت .. فالنوجة ضابط شرطة ومباحث ومخابرات لا يتعب ولا يزهد ولا يمل .. وتنكك عليك عيشتك في أحلى ساعات الليل عندما تدخل إلى فراشك، أو عندما تنهض منه .. وقد تعرف الزوجة كل شيء من أول لحظة ولكنها تتظر .. حتى تتجمع لديها معلومات أكثر وأكثر ، اسكت لا تأمن لزوجتك حتى لو كانت لا تغادر سجادة الصلاة .. أبداً !

«فوزى» : أنا كنت قد وعدت زوجتي أن نلتقي هنا .. فهل يضايقكم أن تجلس معنا بعض الوقت .. ومن الممكن أن تشتراك في الحديث وهي قادرة أن تفيدنا فهى على دراية بمشاكل الحياة الزوجية لأنها تعمل باحثة اجتماعية ودرست علم النفس وعلم الاجتماع .. وهى الأخرى تفتشن يوميا .. لا تفتشن جيوبى ولكن تفتشن فى أغصانى .. ويا أخي لا أعرف كيف تكشفنى ولذلك لم أعد قادرًا على أن أخفى عنها حاجة .. أحياناً أحاول وأقول لها كلاماً منطقياً قد فكرت فيه كثيراً فتستمع وتسمع في صمت تام ، وبعد ذلك تقول لي

قل كلاما آخر فأنت كذاب يا حبيبي !

« صابر » : و تكون كاذبا ..

« فوزي » : طبعا أنا كذاب على طول ا

« صابر » : وليه ؟ ..

« فوزي » : بيقول لك ليه .. وهو فيه حد في أوروبا كلها صادق
إلا أنت .. كلنا كذابون !

« بدوى » : وأنا ؟

« فوزي » : أنت أستاذى يا حبيبي أنا تعلمت الغش على
يديك .. أنا أول ما وصلت هنا قلت لي : اشتغل على الجو ده ..
وكان الجو بتا حلوة .. وحياتك اشتغلت عليها .. وكانت أول
واحدة تزوجتها .. وقد ذقت المر أشكالاً وألواناً على يديها .. إنها
شورتك .. والثانية قلت لي : اكذب عليها .. اكذب .. حتى
تصدق أنت أكاذيبك .. وكذبت ودخلت السجن وأنت السبب
ياروح قلبي !

وجاءت زوجة فوزي .. إنها فتاة نمساوية شقراء جميلة رشيقه ..
وتتكلم العربية وقادرة على أن تكون مفهومة .. ووقفوا لتحيتها ..
وهي بسرعة قالت : لازم عندكم مشكلة .. هل هي مشكلة « صابر »
طبعاً ليست له مشكلة مع « مرجريت » .. لابد أن تكون عنده
مشكلة في مصر ..

الجميع في ذهول قالوا : بالضبط كده .

«فوزى» يابنت العفريتة .. جالكم كلامى .. إنها معى
هكذا .. ليلاً ونهاراً .. أروح منك فىن؟ ..

- وتروح ليه .. أنت قاعد وأنا قاعدة لك .. عاوز تمشى خد
أولادك الثلاثة معاك وإن كانوا خسارة فيك ..

«فوزى» شاطرة ياختى .. اقعدى قولى «صابر» يعمل إيه ..
«يليليان» رکزى معانا «يليليان» ..

«ليليان» : في إيه؟

«صابر» : أريد أن أعود إلى مصر فماذا أعمل في «مرجريت» ..

«ليليان» : خذها معك إلى مصر ..

«صابر» : وزوجتى ..

«ليليان» : وهى أيضا زوجتك .. هذا إذا وافقت هى أن تسافر
معك إلى مصر وتترك فىينا .. لا أظن أنها ستترك فىينا لأى سبب ..
حتى لو ظلت زوجة لك ..

«صابر» ولكن أنا لا أريد أن أتركها هنا .. ولا أستطيع أن
آخذها إلى مصر ..

«ليليان» : لا يبقى إلا أن تأتى بزوجتك الأولى وتحمّع بين
زوجتين وتواجه المجتمع والقانون ..

«صابر» : والحل .. إن «مرجريت» ساعدتنى كثيراً ولا تزال
ولا أنسى فضلها وأدبها وحاجها وحنانها وشهامتها أيضاً .. لولاهما يا
«ليليان» لما استطعت أن أبقى هنا شهراً واحداً .. وهل جراء

«مرجريت» أن أطلقها أو أهجرها أو حتى أسىء إليها ..
«ليليان» : إذن تريد «مرجريت» أن تركك وأن تطلقك .. ما
دمت غير قادر على ذلك ..

«عرفان» : تماماً كما حدث لي .. عندماتزوجت «يليليت»
أحببها جداً .. واشترطت هي أن تكون العصمة في يدها .. ومعنى
ذلك أنني أستطيع أن أطلقها وهي تستطيع أن تطلقني أيضاً ..
وهي التي طلقتني وهاجرت إلى أمريكا .. والله لا يزال قلبي ممزقاً
عليها ..

«فوزي» : قلبك إيه عليها .. إنت عندك قلب .. بلاش
حكاية القلب دي .. خلينا في اللي احنا فيه دلوقت .. اسمعى يا
«ليليان» عاوزين نعرف منك إيه اللي يمكن أن يعمله «صابر» ..
أنت تعرفي «صابر» .. وأنت معجبة به .. وأنت ترين أن «صابر»
هو أفضلنا جيئاً .. ما الحل ؟

«ليليان» : «صابر» ليس عنده حل .. ولكن زوجته في القاهرة
هي التي عندها الحل وكذلك «مرجريت» .. ولو عرفت «مرجريت»
ما الذي نقوله هنا لقررت هي أن ترك «صابر» فوراً .. ونحن كلنا
نعرف أن «مرجريت» عندها شخصية قوية وعندها كرامة .. وهي
عندما تزوجت «صابر» تزوجته عن حب وعن إعجاب .. واحترام
للشاب الذي قرر أن يقف بمبادئه في وجه كل شيء في فيينا .. وفي
أوروبا .. إنها أحبت شاباً قوياً .. قوى الشخصية قوى الإيمان ..
وعاشقاً غيوراً .. وكل هذه الصفات تجعل من الصعب عليها أن

تركه وتفضل أن يتركها هو .. وهذا يجعل الموقف أكثر صعوبة ..
آه .. نسيت شيئاً هاماً جداً .. من يدرى ربما كان الحل هنا ..

وفتحت حقيقة يدها .. وأخرجت خطاباً وقدمته إلى « صابر » :
يبدو أن في الخطاب شيئاً هاماً .. فمرجريت طلبت مني أن أمر
عليها وقد لاحظت أن وجهها حزين جداً .. ثم طلبت مني أن
أسلمك هذا الخطاب في يدك وأصرت على أن يكون ذلك فوراً ..
فأنا شديدة الأسف وأرجو ألا يكون شيء فظيع قد وقع في القاهرة
غير الزلزال .. وإن كانت ملامحها تؤكد ذلك ..

ونهض « صابر » والعيون تتجه إليه .. وهو يفتح الخطاب ..
وهو يقلب الخطاب في يديه .. وهو يقول : لا أعرف هذا الخطاب
يا ترى من الذي بعث به ..

ويفتح الخطاب ووجهه تتغير ألوانه .. ثم يسقط الخطاب من
يده .. وهو ينهر على مقعده .. ويترافقون حوله .. وتمتد الأيدي
إلى الخطاب .. ويتناولونه ..

لقد انهار البيت على زوجته .. فماتت ومعها أمها وأختها ..
وعاش ابنه ..

جميعاً يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله !

الحلقة السادسة

عرف « صابر » الحزن والسرحان والبكاء والضعف وأحس أن الدنيا قد انتهت . وعليه أن يجمع ملابسه وأوارقه ويقفل الباب في وجه أىأمل .. وأنه مصدر تعاسة لكل الذين حوله ..

فقد ولدته أمه وهو ابن سبعة شهور .. وكادت أن تموت .. وكان هو السبب .. وبعد سنة واحدة من ولادته انفصل أبوه عن أمه لأسباب عائلية .. خلافات بين العائلتين .. ويوم دخل الجامعة مات أعز أصدقائه .. ويوم تخرج في الجامعة كان عليه أن يمشي في جنازة الفتاة التي أحبها ووعدها بالزواج .. فقد ماتت في حادث سيارة وهي قادمة من الإسكندرية مع أختها ..

وحبه الكبير لزوجته لم يمض عليه سوى ستين وكان لابد أن يذهب إلى فيينا بحثاً عن عمل أفضل ومستقبل أحسن له ولزوجته ولابنهما .. ولم يكمل الطفل يكمل السنة الأولى ويكسر أياماً من الثانية حتى ماتت زوجته « تهانى » بسبب زلزال القاهرة .. وكان الممكن أن

تحدت معجزة لتنجو الأم وطفلها .. فحدثت نصف معجزة ونجا الطفل فقد تمسكت به والدة صابر حتى تعود الأم من عبادة الطبيب .. وبعد أن ذهبت إلى الطبيب اتهار البيت على « تهاني » والطبيب والمريضى ..

ولم يستطع أن يسافر في نفس اليوم أو حتى في نفس الأسبوع ليمشي في جنازة زوجته . فقد تحتم عليه أن يحضر تسجيل بعض الأوراق في المحكمة ، وكان لابد أن يحضر بنفسه ومعه زوجته « مرجريت » .. ولو لا « مرجريت » هذه لانهار هو الآخر وسقط تحت زلزال الانفعال الشنيع الذي حطم قلبه وعقله حزناً على الذي أصاب زوجته ..

وفي مطار فيينا اقتربت منه « مرجريت » وقالت له : « صابر » .. حتى إذا لم تعد فسوف أظل أحبك .. حتى إذا لم تتمكنك الظروف من دعوتي لزيارة القاهرة والوقوف فيها إلى جانبك بعض الوقت فإن شعوري العميق لك لن يتغير .. فأنا لم أتزوج نزوة .. ولا توريطة .. وإنما بعلقى وقلبي .. وسوف أبقى على حبك .. أتمنى لك التوفيق وأن تجد من يهون عليك .. وسوف تجذبني في انتظارك دائمًا ..

- أنت عظيمة يا « مرجريت » .. عقلك كبير وقلبك أكبر ..
أنت نعمة من عند الله .. وسوف تبقين دائمًا يا « مرجريت » ..
سوف أتصل بك غدًا انتظرينى .
- سوف أنتظر دائمًا !

وفي مطار القاهرة رأى من بعيد والدته في ملابسها السوداء وأخته .. وحالته وبنت حالته .. وكانت أمه هي الأشجع .. تقدمت له وعاشقها وقبلها وبكى الاثنان بلا كلام .. وخرجوا جميعا في صمت ..

فقالت له أمه الحاجة « عديلة » : ابنك في الحفظ والصون ياحبيبي ..

- لم يحدث له شيء .. قولي لي ياما ما أرجوك .. إنني بفضل الله قادر على أن أحتمل أي صدمة ..

- والله يا ابني في صحة وعافية .. ولكنها صغيرة يا ابني وقد تركته في البيت .

- مع من ياما ما ؟

- مع « ماجدة » .

- « ماجدة » مين ؟ .

- « ماجدة » بنت خالتك .. قاعدة عندنا اليومين دول .. اطلقت من زوجها .. أخذ فلوسها وهرب إلى السعودية .. وبعث لها ورقة الطلاق ..

- ندل !

- بعدين يا ابني .. أنت في إيه ولا في إيه .. ربنا يسترها يا ابني من غيرها كان الولد مات .. إنها مثل أمه .. أكثر من أمه .. إنها أخذت إجازة من شغلها في وزارة الخارجية وقاعدة بالطفل ليلاً

ونهاراً . . ربنا يقطع من هنا ويوصل من هنا . . حاجة غريبة يا ابني
الولد شبه « ماجدة » . . كأنه ابنها . . كل الناس يقولون كده . .
وهي أيضاً . . سبحان الله . . العينان الخضراوان والألف الصغير
وشعره الأصفر . . سبحان الله . . مش وقته . . حنعمل إيه يا
ابني . .

- في إيه ياما ماما .

- والله يا ابني ما أنا عارفه أسائلك عن أي حاجة . . قاعد هنا ولا
راجع . . والله يا ابني مصيبة كبيرة . . عين وصابت يا ابني . . عين
وصابت . . ربنا يكملاها بالستر يا ابني .

- آمنت بالله ياما ماما . . كله من عند الله . . آمنت بالله .

* * *

في بيت والدته جاء « فوزي » و « بدوى » و « ليليان » . .

والدته سألتهم : متى جاءوا . .

لقد تصادف وجودهم في القاهرة يبحثون عن شقق يشترونها . .
فقد قرروا العودة . . فكل واحد عنده بيت . . ولا يستطيع أن يعيش
مع بنات في فيينا . . المجتمع لا يمكن احتياله لأى رجل شرقى . .
فلا بد من العودة إلى مصر . .

وقد انتهى فوزي بصابر وسأله : حنعمل إيه .

- مش عارف .

- الطفل سوف تتركه لوالدتك أو تأتى به وتضعه في إحدى رياضن

الأطفال في فيينا ..

- مستحيل طبعاً ..

- إذن أنت لم تقرر بعد .. لا تنس أن تتناقش معى في كل شيء خاص بابنك .. ولكن يجب ألا ترك عملك في فيينا ..

- والله ما أنا عارف ..

واقربت منه «ليليان» : تحبِّء بالطفل إلى فيينا لتتولى «مرجريت» رعايته والاهتمام به .. إنها لم ترزق أولاً وسوف يكون عزيزاً عليها .. ولن تجد من هو أفضل منها .. صدقني إنى فكرت كثيراً .. وهذا آخر ما اهتميت إليه ..

و «بدوى» سحبه إلى جانب وقال له : المنظر الذى أمامى يؤكّد أن والدتك قد فكرت بسرعة وقررت وأنها متأكدة أن هذا قرارك أيضاً ..

- يعني إيه ؟

- يعني أن أمك سوف تعرض عليك الزواج من بنت خالتك .
إيه اللي أنت بتقوله ده .

- وجهة نظر .. ولا تنس أن بنت خالتك هذه هي التي انتحرت يوم تزوجت «تهانى» .. لأنها كانت تحبك وأنت الذي طمعتها بالزواج منك . أنت الذي شجعتها يا أستاذ .. ثم ظهرت «تهانى» فتعلقت بها وأحببتهما وتزوجتها .. أنت نسيت يا أستاذ !

- في عرضك .. اتركني في حالى والهم اللي أنا غرفان فيه ..

- هذا هو حالك .. وهذه هي أسع طريقة لإنقاذك من الغرق .. إن ابنك الصغير هو الذى سيفرض عليك شروطه .. لكن يعيش أفضل ويعيش على مبادئ إسلامية شرقية .. هذه المبادئ لا تعرفها « مرجريت » منها كان حبها لك .. ما علينا .. أنا فقط فرأت وجه الحاجة « عديلة » حبيبة قلبي .. وأمى رقم ٢ ..

- أنت جايب الكلام ده منين .

- من هنا (ويشير إلى قلبه وإلى عقله) .

- وتقرب والدته منها وتتساءل : عن أى شيء تتتكلما ..
- لا شيء ياحاجة ..

- حتى قول إيه يا ابني .. إنها إرادة ربنا .. آمنت بالله .. كل ده
كان مستخبي لك فين يا « صابر » .. عين وصاحت يا ابني ..
- إرادة ربنا ياما ما .. إرادة ربنا .. ربنا أحكم وأعلم وألطف
الحمد لله على كل شيء .. وبشر الصابرين .. الحمد لله ..
- ربنا يا ابني يديم عليك نعمة الإيمان .. ربنا يمتحن عبده من
حين إلى حين ..

- امتحانات صعبة ياحاجة ..

- يا ابني حرام أنت مؤمن يا « صابر » ..

- نعم مؤمن ولكن الامتحان موجع ياما ما .. أنا لا أعترض وإنما
أقول آه فقط .. آه بالقوى ياما ما .. آه على المسكينة التي اختارها
ربنا .. وعلى المسكين الذي لا هو عارف هو ابن مين ..

- ابنك يا ابني وربنا يخليله يتربى في عزك وحضنك يا ابني ..
آمنت بالله ..

ويقترب «فوزى» من الحاجة «عديلة» ويقول لها :
والله يا حاجة أنا كنت أتكلم مع «صابر» عن اللي حيعمله ..
قاعد هنا .. ولا راجع .. راجع وحده .. ولا مع الطفل .. وأين
سيضع الطفل ? .. وإذا تركه فمن الذي سيقوم بدور الأم ؟ ..
- أنا يا ابني ..

- تسلمى يا حاجة ..

«صابر» : والله يا حاجة أنا مش قادر أفكر دلوقت ..

- يا ابني مش دلوقت .. بكره بعده يا ابني ..

- إن شاء الله ..

* * *

كانت الأم جالسة على السرير تشكو من ألم في ساقها .. وجلس
هو إلى جوارها على السرير .. يشربان القهوة قالت له : «صابر» يا
ابنى ياحببى .

- نعم يا حاجة ..

- نعم الله عليك يا ابني .. ريح قلبى قبل ما أموت يا ابني ..

- تعيشى ياما ماما .. أنا عمرى تعبتك ياما ماما ..

- أبدًا يا ابني أنت طول عمرك عاقل .. وطول عمرك حنين ..

ومش عارفه ليه حظك كده يا ابني .. اللهم لا اعتراض على حكمتك ..

- نعم ياماً ..

- انت عارف ياسى « صابر » .. مفيش غير « ماجدة » بنت خالتك .. أحسن منها في الدنيا كلها مفيش يا ابني .. وهى راضية على الحلوة والمرة .. وهى مستنياك طول عمرها .. ويوم تزوجت : « تهانى » قالت لي وربنا شاهد على كلمة قالتهالى .. قالت : ياخالتنى سوف انتظره طول عمرى .. وسوف أكون جاهزة فى أى وقت .. ولن يكون لي أولاد إلا منه .. وقد تخانقت مع زوجها بسبب الخلفة .. وهى منعت نفسها .. وربنا شاهد على كل كلمة باقوطها .. وقالت لي كده . وسائل « بدوى » .

- « بدوى » مين ؟

- صاحبك ..

- هو يعرف ..

- أنا قلت له إن « ماجدة » قالت وقالت .. « بدوى » بيحبك يا ابني وأنا باحس دائئماً أنه أخوك وأنه ابني .. وكان متعجبًا .. ولما طلقت « ماجدة » هو اللي ضرب تليفون من فيينا وقال لي : أؤكدى لك أنها لن تتزوج .. وأنها في انتظار إشارة من « صابر » .. زوجة ثانية . ثالثة .. رابعة .. إنها في انتظاره دائمًا .. إرادة ربنا أن يحصل اللي حصل .. ولو تشوف عاملة في ابنك ايه .. لو أخذنا منها الولد سوف تقتل نفسها يا ابني .. الناس مندهشة إزاي أخذت أجازة من

شغلها وقاعدة بالولد ليل نهار . . وراحية جاية به عند الدكتور . .
كأنها أمه . . والله يا ابني يمكن أمه ما كنتش حتعمل كده . . وهى
تعمل ده من قلبها يا ابني !

- ليه بس كده يارب . . مش قادر ألاقيها من هنا ولا من هنا . .
- يا ابني أرض بحكم ربنا يا « صابر » . . أنت مؤمن يا حبيبي . .
ولازم تقول لي حالاً دلوقت . .
- أقول إيه ياماً؟ . .

- تقولي لي أنا . . كلمة واحدة . .
- كلمة إيه؟

- إنك لازم تتجوز « ماجدة » مش النهارده . . لابكرة . .
كلمة واحدة . . وسيب الولد وشوف شغلك يا ابني . . وابقى اسأل
عليه بالتلليفون . .

- فيه حاجة ياماً أنا ماقلتهاش لك . .
- عارفه يا ابني . .
- عارفه إيه؟

- عارفه إنك متتجوز « مرجريت » وفرحت قوى يا ابني . .
« بدوى » قال لي عليها وعلى أخلاقها وعلى نبلها . . وعلى أنها سيدة
عظيمة وأن حبها لك قد حبينا جييعا فيها . . عارفه يا حبيبي . .
- ورغم كده عاوزانى أتجوز « ماجدة » . . واحدة هنا وواحدة
هناك . .

- أنت نسيت أن «ماجدة» خالها السفير اللي عندكم .. وأنها إذا سافرت معاك سوف تعمل في السفارة .. أنت ناسي أنها درست لغات .. وأن من أحلامها أن تعمل في الخارج .. أنت نسيت يا «صابر» ..

- والله ما أنا عارف ياماما .. أنا متلخط ..

- عارفه يا ابني الله يكون في عونك .. ولكن الطفل الصغير هو اللي يحتاج للعناية في كل لحظة .. كلمة منك ويتنهى كل شيء على خير ..

- قولى أنت ياماما ..

- أنا برضه يا ابن الأصول اللي أقول يا «صابر» ..

- طيب ياماما ..

- ربنا يهدى سرك يا ابني ويصبرك .. ويكملك ياميإنك وعقلك .. الحمد لله .. ربنا أخذن بنت حلال وبعث لك بنت حلال تحبك وكانت تنتظرك طول عمرها .. وربنا شاهد على كل كلمة باقوها .. إن أول علقة أخذتها من زوجها لأنها غلطت وقالت له يا «صابر» .. وحاولت تقنعه أن «صابر» هذا ابن خالتها .. وهم أطفال يلعبون .. وتناديه ويناديه .. ولم ينس لها هذه الغلطة .. الحمد لله على كده ، وربنا يكمل بخير وسلام .. مبروك يا ابني ..

- إرادة ربنا .. آمنت بالله ..

الحلقة السابعة

في مطار فيينا كانت «مرجريت» في انتظاره . وقد ارتدت فستاناً أسود طوبل الأكمام . وحملت في يدها باقة من الورد .. وكانت معها زوجات الزملاء المصريين .. وال الحاج «عبد اللطيف درويش» من أغنياء فيينا .. وقد وضع وردة بيضاء في الجاكـة وفي يده عصا .. وهو رجل لطيف ..

واقترب منهم «صابر» وكان الحاج «عبد اللطيف أسبق الجميع وعائقه وهو يقول له : الصبر يا «صابر» .. تشجع أنت جدع ويجب أن تبقى جدعا .. وأنت مؤمن ويجب أن تبقى مؤمنا .. شكلك مش عاجبني .. أصفر شاحب .. كبرت عشر سنين .. أنا أجدع منك .. أنا زوجتى وأثنان من أبنائى غرقوا في الباخرة المتجهة إلى السعودية .. وادينى أمامك زى العفريت .. إنها أعمـار وقضاء وقدر .. والحزن على الميت لا ينفعه ولا ينفعنا .. وسوف نموت ولا نجد من يحزن علينا .. خليك راجل وانت راجل يا

«صابر» البقية في حياتك وتعيش وتربى ابنك أحسن تربية .. ألم يأت معك أحد .. كنت أظن أن والدتك سوف تأتي والطفل معها .. كيف حالها يا «صابر» ..

- الحمد لله ..

- ما تزال ساقها توجعها .. ولماذا لم تأت هنا للعلاج ..
بعدين .. المهم أنت ..

ـ «مرجريت» تعالوا سلّموا على «صابر» (وأشارت إلى زوجات زملائه الموجودين في القاهرة في إجازة قصيرة) ..

- ازيك يا «صابر» .. خليلك قوى ..
ـ شكرًا يا «متلده» ..

- لازم تشجع يا «صابر» أنت رجل مؤمن ..
ـ شكرًا يا «ماريا» ..

- «مرجريت» حكت كل شيء و «مرجريت» شديدة الحزن ..
وبكت كثيراً .. ولكنها لن تبكي أمامك حتى لا تبكي أنت أيضًا ..
ـ شكرًا يا «ديانا» ..

ولف ذراعه حول «مرجريت» .. وخرجوا جميعاً من المطار ..

* * *

في البيت كانت «مرجريت» قد غيرت ترتيب البيت .. والتفت «صابر» إلى منضدة عليها ورد حول صورة كبيرة لـ «تهانى» ..

وتوقف أمام الصورة وسائل « مرجريت » كيف ؟

- أنا طلبتها قبل وفاتها .. و كنت سأجعلها مفاجأة سارة لك ..

واقترب من « مرجريت » وعانقها وقبلها وقبل يديها ..

- أنت عظيمة يا « مرجريت » .. كل يوم تكبرين في نظري ..

كل يوم أزداد حبا واحتراما لك .. وأرى أنك أكبر تعويض دفعته
السماء عن الكوارث التي أصابتنى بعد ذلك .. أنت تعويض دفعته
السماء مقدما وأخيرا ..

- هل في استطاعتي أن أسالك ..

- عن أي شيء ؟ ..

- عن أي شيء يقلقك .. الولد أين هو ؟

- مع والدتي ..

- وهل تستطيع تربيته والعناية به ؟ ..

- نعم ..

- ولكنها سيدة وحيدة مريضة ..

- سوف تأتى بمربيه ..

- ولماذا لا أكون أنا المربيه !؟

-أشكرك .. ربنا يخليك يا « مرجريت » يا أحسن زوجة وأعظم
أخت وأروع أم .. يانعة من عند الله ..

- صارحنى يا « صابر » .. ماذا فكرت .. هل تستطيع أن تبقى

هنا وابنك هناك .

- لا ..

- هل تستطيع أن تعود إلى مصر بعد أن نجحت في عملك ..
ومن الممكن أن تنجح أكثر ..

- لا تستطيع أن أبعد عنك .. لا تستطيع مطلقا ..

- إذن .. لا تستطيع أن تبعد عن ابنك .. ولا تستطيع أن تبعد
عنى .. فلماً أن أذهب أنا إلى مصر وإما أن يأتي هو إلى فيينا ..

- لا هو يجيء ولا أنت تذهبين ..

- كيف؟

- أن اموت أنا!

- أنت تطلب من الله أن يعاقبني ..

- لا .. وإنما أن يريحني ..

- يريحك ويعذبني ويعذب أمك وابنك ..

- لا أعرف ما الحل ..

- ليس الآن .. سوف نفكّر فيها بعد ..

.....

* * *

وظل «صابر» يتحدث تليفونيا كل يوم إلى أمه .. طبعاً ويسأل
عن الطفل .. وكان لا يجد الأم وإنما كان يجد «ماجدة» .. وهي
التي تحدثه عن صحة الطفل .. وأنه أحسن من كل الأطفال .. وأنه

يزداد صحة وأنه يضحك . . وأنها تعرض صورته على ابنه لكي يعرفها . . ويعرفه . . وأن الملابس التي بعث بها جميلة . . وأنها التققطت له صوراً مع كل اللعب والملابس . . وأنها سوف تبعث له بصورة تجنن . . صورته وهو يلعب . . وراء صورة والده . . وصورته وهو يقبل « صابر » . . وصورته وقد رسمت له شارباً ونكشت شعره . . والذى يراه يخيل له أنه « صابر » الصغير . .

إن هذه المكالمات التليفونية كانت مصدر سعادة له . . وهو حكى ما يدور بينه وبين « ماجدة » بشأن ابنه لكل الناس . . ولـ « مرجريت » أيضاً .

وكان يندهش أن أمه لا تنتظر مكالمته حتى عندما يحددتها . . ييدو أن أمه كانت حريصة على أن يكلم « ماجدة » . . وكانت تسأل « ماجدة » عن كل كلمة قالها . . وما الذى أحبه وما الذى ضايقه . . وكيف أنه يضحك من كل قلبه . . عندما سمع من « ماجدة » أنها تركت الطفل لحظة فوجده ابتلع قطعة من صورة والده . . ابتلع أنفه . . فالطفل أنفه صغير . . ومن يدرى ربما أدى الأنف الذى ابتلعه إلى أن يكبر أنفه أيضاً . .

وكان « صابر » يروى كل شيء لزوجته « مرجريت » . . وطلبت « مرجريت » من « صابر » أن يتحدث إلى والدته من البيت وليس من المكتب . . إنها تريد أن ترى السعادة على وجهه . . إنها تحب أن تراه سعيداً . . وأن ترى الإشراق والبهجة يعودان إليه . .

وفي يوم عاد « صابر » إلى البيت ليجد « مرجريت » قد كتبت له مذكرة بجوار التليفون . قرأ المذكرة :

حبيبي « صابر » .. طلبوك من مصر أربع مرات اليوم . ولابد أن تتصل بهم . الأمر هام . ولكنه ليس سيئاً . لا تقلق . يبدو أنهم انتقلوا إلى شقة جديدة ورقم تليفون جديد .. وسوف يحدثونك عن ذلك .. أمك لطيفة جداً . لقد حدثتني بلطف . وشكرتني على كل ما قمت به لك .. وإنها تعرف كل شيء .. سوف أعود في المساء . قبلاتي الحارة الصادقة .. وإلى الأبد .. « مرجريت » .

وجاء صوت أمه من القاهرة تقول له : مفاجأة .. لقد انتقلت « ماجدة » إلى شقة في عماره والدها .. الشقة جميلة على النيل .. الولد قاعد طول الوقت في الشمس في البلكونة .. الجو دافئ عندنا .. ولو بقى وقتاً أطول في القاهرة لرأيت الشقة ولكنك كنت مستعجلًا .

- أين أنت ياماً؟ !

- يا بني أنا موجودة .. أنا عاززاك تتكلّم مع « ماجدة » يا بني .. برضه دى بنت خالتك وأنت أملها في الدنيا .. وعاوزه تسمع صوتك .. أما أنا فصوتك في قلبي وفي وداني طول الوقت ..

- والله أنت مكاراة ياماً ..

- ربنا قال على نفسه إنه خير الماكرين .. مش كده برضه !

- كده ياما .. ربنا يخليلك ياما .. فيه ناس سألوا عنك
بالقوى ..

- مين يا ابني ..

- الحاج « عبد اللطيف » ..

- ازيه يا ابني ..

- كويس زى العفريت .. كان فى المطار .. وحاطط وردة بيضاء
في الجاكلة وعايق زى ما هو .. متهدى التصابى والفرشة إنه لا
يكف عن الضحك ..

رغم من كل المصائب ..

- لا يحمل لدنيا أى هم ..

- والله معاه حق يا ابني ..

- أهوه أنت عندك نموذج كويس للرجل الذى هو أقوى من
المصائب والشدائد والله الصبر من عند ربنا .. ربنا يلهمك الصبر
ويدى لك طولة العمر .. امال بسلامتها « مرجريت » راحت فين ؟

- سافرت خارج فيينا وراجعة بالليل .. قالت لي إنك
شكريتها .. على كل ما قدمته لي وهي سعيدة بذلك ..

- ربنا يخليلها لك يا ابني .. والله ما أنا عارفه حتعمل فيها إيه يا
ابني ..

- تفتكرى واحد ابن أصل زبى يعمل إيه ياما .. واحدة

أكرمتني هل أهينها .. واحدة ساعدتني واحدة شجعني .. والله
من غيرها ياما ما ولا كنت قعدت في البلد دي لحظة واحدة ..
واحدة أطفال السيجارة في فمي .. أول سيجارة وآخر سيجارة ..
واحدة ترفض أن تقدم الخمور في بيتها . احتراماً لرغم أنهم يشربون
الخمور أكثر من الماء .. واحدة اشتربت سجادة لكي أصلى أمام
الناس .. وليس في ركن من البيت .. واحدة أسلمت من أجل ..
وإن شاء الله سوف تخرج هذا العام .. وقد اختارت لنفسها اسم
ال الحاجة «فاطمة» .. إيه أحسن من كده في الدنيا؟!

- ربنا يكرمك يا ابنى .. واللى فيه الخير يعمله ربنا يا ابنى ..

* * *

بعد أن فرغ من قراءة الصحف امتدت يده إلى يدي «مرجريت»
و قبلهما وقال لها : «مرجريت» .

- نعم .

- عندي كلام كثير .

- وأنا أيضاً .

- تتعشى الليلة خارج البيت .

- أحسن فكرة ..

- أنت عارفه عن أي شئ سوف أكلمك ..

- خليها مفاجأة سارة؟

- الجلسة معك هي السرور كلها .. وأنت عندك كلام؟

- نعم .

- ماذا ؟

- مفاجأة .

- سارة ؟

- مؤكدة .

- أنت دائمًا أحسن مني في الكلام وفي التفكير .. وأنت كل يوم
تؤكدين لي أنك أعظم وأروع واحدة في الدنيا ..

ودق جرس التليفون من القاهرة :

أهلا يا « ماجدة » .. وانت كمان .. كده .. ظهرت له سنة
واحدة .. وهو الآن يضحك لواحدة .. آه .. كنت « متظر » إنك
تبعثى لي « جواب » وصور العكروت ده .. « مرجريت » ، آه طبعاً
موجودة .. منورة .. أنا اللي ساكن عندها .. يعني إيه .. عندما
تعرفيها سوف تفرحين بها .. إنها أعظم سيدة في البلد ده .. فيه
إيه .. ضيوف؟ طيب .. وعليكم السلام ..

وظهر الضيق على وجهه .. وكانت « مرجريت » قد لاحظت كل ذلك . وحاول أن يفسر لها ما حدث ، ولكنها لم يستطع أن يقول لماذا
تغير كل شيء عندما ذكر اسمها .. وكيف أن المكالمة قد انتهت
فجأة . وتضايق ما حدث . وتضايق أكثر أنه كان أمام « مرجريت » ..
وأنه لم يعرف كيف يفسر لها بالضبط ماذا حدث . ولكنها لم تكن في
حاجة إلى ذلك ..

وفي الطريق إلى المطعم وفي السيارة لم يدر بینهما كلام .. وكانت «مرجريت» تنظر إليه باهتمام شديد . وهي تعرف كم هو يحبها .. وتعرف أيضاً كم هو حائر في تربية ابنته .. ولابد أن أهله في القاهرة قد وجدوا له حلا .. ولا يمكن أن تكون «مرجريت» هي الحل .. وهم يعرفون كل شيء عنها . ويعرفون أنها تزوجت مرتين قبل ذلك ولم ترزق بطفل . فالعيوب فيها .. وربما تركها زوجها السابقان لهذا السبب .. ولابد أنها لا تحب الأطفال أو تعتقد على الذين عندهمأطفال . ولا يمكن أن ترى طفلًا لزوجها من امرأة أخرى حتى لو كانت قد ماتت .. إنها طبيعة النفس البشرية ..

وفي المطعم وفي ضوء الشموع ظهرت «مرجريت» أكثر جمالا .. بل إنه لم يرها أجمل من ذلك اليوم .. إنها ارتدت فستانًا ليس أسود ولكنها قاتم .. وكان وجهها جميلاً وشعرها طويلاً على جبهتها الجميلة وعلى خديها .. وعنقها الرقيق ..

«مرجريت» : ماذا ترى .. هل ترانى جديدة عنك ؟

- بل جميلة .. أجمل من أي يوم رأيتكم فيه .. إنني أحبك يا «مرجريت» أحبك حقاً وصدقًا .. ولم أتوقف عن حبك في أية لحظة .. لا تقاطعني يا «مرجريت» .. دعني أملأ عيني منك .. أي جمال أودعه الله في عينيك .. وأى صفاء .. وأى حب .. سبحان الله .. آه يا «مرجريت» لو رأيت الذي أرى لسقطت في غرام نفسك .. وأى وجه هادئ جميل عميق .. سبحان الله كل هذا الجمال في وجهك .. وأنفك الأشم .. كيف يكون الأنف نموذجاً

للكبراء في غير غطرسة .. وللأباء في غير غرور .. كل هذا أعطاه
الله لي .. كيف لا أشكركه عليك .. شكرًا لك يارب .. آه لو كان
الله قد جعل ابني هذا منك أنت ..

- لا تقل .. كفى !

- أنت على يقين من أنني أحبك .

- نعم .

- ولن يتغير ..

.....

- لن يتغير يا « مجريت » .. فأنت أقوى من أي شيء . أنت
التغيير الحقيقي في كل حياتي ..

وانتهى العشاء .. وقد أحست « مجريت » أنه كان في نيته أن
يقول شيئاً آخر ..

وأحس أنه كان في نيتها أن تقول شيئاً ..

ولكنها سعيدان ..

الحلقة الثامنة

- أنا أكلمك من المكتب .. فقد لاحظت أنك لا تستريحين إلى الكلام من البيت وفي حضور «مرجريت» أعلى مسمع منها .. لا تسيئي فهم «مرجريت» .. لولاهـا ..
- أنا أعرف كل شيء .. طانط قالت لي ..
- قالت لك ماذا يا «ماجدة» ..
- قالت كل حاجة .. كم خدمتك هذه السيدة .. وكم ساعدتك لوجه الله .. إعجاباً بأخلاقك وتمسكك بدینک .. وأنا احترمها ومعجبة بها .. ومستعدة أنأشكرها أنا أيضاً .. فـأى إنسان يؤدي لك خدمة يستحق مني الشكر على ذلك .. هل أنا غلطانة ..
- لا طبعاً .. ولكن ..
- المهم أن حمادة .. نائم .. ولا أريد أن أوقفه لــكى «تسمع صوته وهو يقول بــابا .. و» ..
- والنــبــى تسجلــى لــى صــوــته وهو يقول بــابــا .. أرجوك يا «ماجدة» ..

مش عاوزة حاجة من هنا .. أنا أرسلت مع أحد الأصدقاء سوف
ينزل غداً عدداً من البلوزات الجميلة وتأتيها .. وبعض العطور على
ذوقى أنا لأنك حتى الآن لم تختاري أي نوع من العطور .. وأرسلت
لماما بالطلو أسود .. ليس أسود تماماً أرجو أن يعجبها .. وإذا كان
ضيقاً أو واسعاً من الممكن أن ترده وأنا أبعث لها بواحد مضبوط
عليها .. وأرسلت شنطة لامتك .. أرجو أن يعجبها ..

- لا تتكلف نفسك كثيراً .. فعندنا كل حاجة .. وأنت عارف أن
ماما كانت في باريس من أسبوعين .. ولفت على كل المحلات
وأفلست تماماً وراجعة تتحسر على الذي لم تستطع أن تشتريه ..
تصور !

قولي لي «ماجدة» .. قررت إيه .

- قصدك إيه ؟

- أنت عارفه .

- أنت اللي تقرر ..

- ماما مش قالت لك ..

- لازم أسمع منك أنت ..

- أنا كتبت لك جواباً ..

- هل المسافة بيننا بعيدة لدرجة أنها في حاجة إلى جوابات ..

- مش عارفه أقول لك إيه .. أنت لست في حاجة إلى أن تقول ..
أنا عارفه كل حاجة ..

- يعني إيه ؟

- كل حاجة .. يعني كل حاجة !

- مش فاهم ..

- لولا أن حبك فوق كل وصف .. ولولا أنني لا أرى في الدنيا سواك .. ولولا أنني مرتبطة ونحن نلعب في الحارة ..

- يعني إيه ؟

- يعني أنني لولا هذا الحب العميق ما كنت وافقت أبداً أن أتزوجك وأنت زوج لسيدة أخرى ..
- ماما قالت لك كل حاجة فعلًا .

- وبعدين ؟

- كمَا ترى ..

- أرى ماذا ؟

- مكتوب على أن أكون الزوجة الثالثة .. عندما تزوجت «تهانى» كنت في الانتظار لكي أكون الزوجة الثانية .. والآن سوف أكون الزوجة الثانية في فيينا .. والثالثة في حياتك .. وكانت ألمى أن أكون الأولى والأخرة ..

- عندك حل .

- هذا هو الحل . وأنا أحاول أن أرضي به .. وأنا أجده لك ألف عذر .. هل استرحت ؟

-نعم ..

- وأنا سعيد أنتى استطعت أن أريحك .. وأتمنى أن أكون مصدر راحة وسعادة لك أنت وابننا حماده .

- مش عارف أقول لك يا « ماجدة » . . .

- عندي إحساس أن ربنا يحبني .. لقد هيألي من وقت لوقت من يسعدنى ومن يعصمنى من الخطأ .. الحمد لله والشكر لله .. والله ما أنا عارف أشكرك إزاي يا ماجدة .. يمكن أغلط مرة وأقول لك يا « تهانى » .. أو يا « مجريت » اعذرني أرجوك ..

- عذرتك أنت قلتها لي مرة وظللت أبكي طوال الليل .. ولكن وجدت لك عذراً .

- لا تنسى أنتى متل خيط .. وأنتى ألعوبة في القدر .. أنا لا أعرف بأى شيء ضربنى القدر .. بالكف أو بالشلوت .. اصبرى الله يخليك يا « ماجدة » .. أبعث لك ألف قبلة .. منها واحدة لحمادة .. لا إله إلا الله ..
- محمد رسول الله ..

* * *

في بيت والدته جلس بدوى مع الحاجة « أم « صابر » .
قالت له : يا « بدوى » يا ابنى ما الحال ؟
- مفيش غير حل واحد ياحاجة ..
- إيه يا ابنى ؟ .

- تتزوج «ماجدة» .. ويسافر بها .. ويطلق «مرجريت» .. وإن كنت أنا شخصياً لا أعتقد أنه من الممكن يطلقها أبداً . وبعدين القانون النمساوي يمنع الزواج من أكثر من واحدة .

- والخل يا ابني ؟

- الخل ألا تعلن «مرجريت» أنها زوجة له .. وأنا أعتقد أنها سيدة عظيمة .. وأنها من الممكن أن تفعل ذلك .. ولكن .

- ولكن إيه يا ابني ؟

- ما موقف «ماجدة» .. ؟

- هو ده اللي شاغلني جداً .. أنا قلت لها أن «صابر» متزوج ..

- لا أريد أن أخفى عنها أي شيء .. لا أريد أن أغشها .. وأنا عارفه «صابر» كان لابد أن يصارحها بكل شيء .. فصابر لا يكذب ولا يراوغ أنا متأكدة . و «ماجدة» .. عاقلة جداً وهي الآن تعرف الحقيقة .. وهي متمسكة بصابر وحادة .. ولكن «ماجدة» .. ست وكلنا سبات .. ومن حقها أن يكون لها وحدتها .. طبعي يا بدوى والأمر الآن بين «صابر» وبين «ماجدة»

- أنا اتكلمت مع «ماجدة» .. امبراح .. وقالت لي إن الوضع الذي يختاره «صابر» سوف نوافق عليه .. مهما كان فليس عندها أعلى ولا أعز من «صابر» .. وقالت لي : أنا واثقة من أن «صابر» سوف يختار الذي يؤكد حبه واحترامه لها .. واحترام السيدة «مرجريت» أيضاً . ثم إنها ليست مستعجلة .. وأهم شيء عندها

أن تجد نفسها مع حبها الأول «صابر» .. ومع حبه الأول والثاني
هي وأبنه .. منتهى العقل ياحاجة ! .

- إيه .. لكن الست مننا في بعض الأحيان يركبها عفريت
والغيرة تحرق قلبها .. أنت عارف يا ابني .. ربنا يهدى سرهم ..
ربنا كريم يا ابني و «صابر» يستأهل كل خير ..

- طيب تحبي أتكلم مع «صابر» ..

- لا ..

- ولا مع «ماجدة» ...

- ولا «ماجدة» ... الأفضل أن ترك لها كل شيء .. والحب
زى ما بيقولوا يصنع المعجزات .. وقد صنع المعجزات .. فـ «ماجدة»
.. كان لابد أن ترك زوجها حتى لو كانت عايشة معه في الجنة ..
فهي لم تنس «صابر» لحظة واحدة .. ومن العجيب يا ابني أن كان
عندها إحساس أنها سوف تتزوج «صابر» .. ولا أعرف من أين
 جاءها هذا اليقين .. قالت لي كده يوم زواجهما هي ويوم زواجه
هو .. وأنا كنت أندھش واسكت ! شيء عجيب .. الدنيا دي
غريبة .. شوف علشان «صابر» يتزوجها انقلبت الدنيا .. وعاش
اللى عاش ومات اللي مات .. وإيه اللي حصل لـ «صابر» في فيينا
وإيه اللي حصل لـ «ماجدة» .. في الرياض ..

- في الرياض ..

- آه .. ما هي تزوجت وسافر .. إلى الرياض وتم الطلاق هناك

وعادت إلى مصر .. دول الاثنين هي وجوزها وقفوا عند الكعبة
وتعاهدا أمام الله على الحب .. وطلبت هي من ربنا أن يزوجها من
«صابر» .. واستجاب ربنا لدعائهما .. ويظهر أن زوجها لم يطلب
من الله شيئاً .. لقد ضحك عليها .. وهى كمان ضحكت عليه ..
وكل واحد منها طلب حاجة ثانية .. واستجاب ربنا لدعاء
الاثنين .. والله يا بني حاجة عجيبة .. كله بمشيئة الله ..

- أنا سألت «صابر» يا حاجة امتى الزواج ؟

- قال لي يوم ١٧ .. أشمعنى ؟ لا هو ١٥ ولا هو ٢٠ !

- والله يا بني ما أنا عارفه .. آه .. أنا فهمت دلوقت .. لأن
زواجه الأولانى كان يوم ١٧ .. وهو لم ينس «تهانى» لحظة
واحدة .. و «تهانى» دى يا بني كانت حساسة زيادة عن اللازم
يرحها برحمته ..

- وبعدين .. لو عرفت «ماجدة» .. حتقول إيه ..

- «ماجدة» .. عاقلة قوى يا بني .. المهم عندها هو أن
«صابر» رجع لها .. يوم ١٧ يوم ٢٧ مش مهم ..

- إنت كلمتها يا حاجة ..

- لا .. ولكن أنا عارفة «ماجدة» .. إيه ! اللي عاوزه ربنا هو
اللى يصير ..

- خير إن شاء الله يا حاجة ..

- ربنا كريم يا بني ..

شيء غريب بدأ يظهر على وجه «مرجريت» .. يلاحظه «صابر»
ولكنه لا يسأل .. لا يريد أن يسأل .. لا يحقر .. ولكن «مرجريت»
واثقة أكثر وعاقلة وأنضج . لاحظ «صابر» أنها قلبت فنجان
القهوة . فضحك وقال لها : أنت تعلمت قراءة الفنجان .

- أخيراً .

- صحيح تستطعين أن تقرئي الفنجان .

- أحاول ..

- وكيف تعلمت ذلك .

- من «ثريا» .

- «ثريا» مين ؟

- بنت الحاج «عبداللطيف» ..

- وعرفت «ثريا» أيضاً .. والله برافو عليك يا «مرجريت» ..
وماذا تجدين في فنجانى ..

- أنت حائز جدًا .. مرة أخرى بين امرأتين .. صبح ؟

- ليس بالضبط .

- وأنت لا تتكلم في هذا الموضوع .. ولكن كل الذين حولك .
واحد .. اثنين .. ثلاثة .. كلهم يقفون وراءك ويتهامسون ..
ولكن أحدهما لا يحقر على أن يصارحك ..

- غريب ..

- وفي فنجانك حب كبير .

- أنت .

- وحب آخر ..

- حب آخر لا ..

- ابنك ليس حباً آخر ؟

- إنه حب وحيد ولكن من نوع مختلف .. حب فيه الحنان والقلق عليه .. والاستعداد للتضحية من أجله بأى شيء .. أما حبك أنت فهو : الإعجاب والاحترام والسعادة والامتنان العميق ..

- حب آخر ..

- حب ثالث .. لا أظن ذلك .. هل معقول أن يحب الإنسان ثلاثة في وقت واحد .. ممكن أربعة أنواع من الحب .. جي لامي وجي لك وجي لابنى وجي لبلدى .. أو جي لعملى .. كلها أشكال وألوان من الحب .. كل هذا في الفنجان .. شيء غريب ..
وسكت الاثنان ..

وعاد « صابر » يقول لها : « مرجريت » إننى أعرفك .. إن هذا الذى تقولين ليس في الفنجان ولكن في دماغك أنت .

- صحيح .

- ماذا في دماغك ؟

- كل الذى سمعت ..

- أو ضحى يا «مرجريت» ..

- أنت تعرف ..

- ما الذي أعرف ..

- أنت في حاجة إلى من يربى الطفل .. وقد وجدت من يستطيع ذلك .. التي تحبه وتحبك أيضاً . صح؟
- صح . وكيف عرفت ذلك؟

- لا أحد يسأل واحدة تحبه جا عميقاً كيف عرفت .. إن التي تحب تسمع أكثر مما تتصور وترى أكثر مما تخيل .. ولا تكف عن السؤال عن كل الذين حول رجلها .. في فيينا أو في مصر .. ولا تسألني من الذي قال ولا من الذي قابلت .. لقد فكرت في كل شيء ..

- وحدك ..

- لابد أن أكون وحدى . تماماً كما كنت أنت وحدك في القاهرة وفكرت وقررت .. ولا تعرف كيف تواجهنى بهذا القرار .. ولكنى أعرف . مبروك ..

.....

- ولذلك أنت تبحث عن شقة أخرى .. وفي نفس الوقت أنا وجدت شقة لي .. أنا سوف أبعد في المكان فقط .. ولكن سوف أظل على حمى لك .. فمن حقها أن تكون زوجة لك . وأن تكون الأقرب وأن ترى ابنك .. أعرف كل ذلك .. ولكنى راضية بنصيبي

فيك .. وسوف أكون في انتظار ما تريده مني ولن أذهب إلى أبعد مما
أعطيتني ..

.....

- نقطة واحدة باقية .. إنني لن أسلم الشقة الجديدة إلا بعد
ثلاثة شهور .. وأعلم أن زوجتك سوف تصل ومعها الطفل بعد
شهر واحد .. وليس لها إلا هذه الشقة .. وسوف أترك لكما هذه
الشقة مؤقتا ..

- إنني لا أجد الشجاعة دائمًا على المواجهة .. أنت أفضل مني
كثيرًا ..

- إن هذا يسعدني .. وهذا يدل على مكانتي عندك .. فأنت لا
تقوى على مضايقتي .. وأنا أيضًا لا أقوى ، ولذلك صارحتك
ولذلك لم تصارحنى أنت ..

- لا أعرف كيف أشكرك ..

- وأنا أتمنى لك السعادة .. وسوف أبقى دائمًا حيث تشاء .. أما
حبي لك .. فلا نهاية له .. ويتuanقان ..

فـ مطار فيينا وقف عدد من المصريين يتظـر العروس «ماجدة» ..
ومعها الطفل «حمادة» .. كانت «مرجريت» أول من تقدم للعروـس
ببيـقة من الورـد .. ومن بعـدها توالت زوجـات المـصريـن النـمسـاويـات
المـصـريـات .

وقام «صابر» بتقبيل الطفل قبل أن يقبل زوجته .. ثم قبل زوجته .. ونظرت «مرجريت» إلى هفة الأب على الطفل وليس على العروس ، وأسعدتها ذلك .. وكأنها قد جاءت لترى أيهما أهم عند «صابر» : العروس أم الطفل ..

رأى الطفل هو الأهم وهو الذي أتى بهذه الزوجة الجديدة . .

وتقدمت «ماجدة» .. إلى السيدة «مرجريت» وقالت لها :
طبعاً مدام «مرجريت» لقد حدثني عنك «صابر» كثيراً .. وكل
المصريين أيضاً .. الجميع معجب بأخلاقك وخدماتك لهم
جميعاً .. وأنا أحببتك من كلام المصريين جميعاً ومن كلام «صابر»

خصوصاً .. أنت أجمل من كل الصور ..

« مرجريت » : شكرأ لك ، وأنت أيضاً حديث المصريين جمالاً وأصلاً وأخلاقاً وجهاً عميقاً لصابر .. إنه يستأهل حبك ، وأنت أيضاً تستأهلين حبه لك .. وكل الناس هنا يحبون « صابر » .. كلنا نحبه .. وسوف يحبونك أيضاً .. أنا متأكدة ..

وركبت السيارة مع « صابر ». والتفتت إليه تقول له : وهيه دى بقى « مرجريت » اللي أنتو طالعين بها السماء .. دى سنت كبيرة .. في سن والدتك .. اللي يسمع الحكايات والروايات يقول ياما هنا وياما هناك ..

- سوف تخيبنها أكثر ..

- وأحبها ليه ؟ .. كفاية عليها حبك أنت .. حتلائقى أحسن من كده إيه .. ودى حنشوفها كل يوم ..

- نحن سوف نعيش فى بيتها ..

- فى بيتها ؟

- مؤقتاً ..

- يعني كام يوم ..

- لا كام شهر ..

- إزاي ..

- لا يوجد سكن بهذه السهولة في فيينا ..

- أنت قلت لي إن شهر العسل سوف يكون خارج فيينا ..

-إيوه ..

-وهيء سوف تكون معنا ..

-لا .. لا .. سوف تsofar بعيداً وتعود إلى البيت بعض الوقت
تمهيداً للانتقال لشقة أخرى .. ولن تبقى في هذه الشقة ..

-طبعاً ..

-لأن هذه الشقة ملكها هي .. البيت ملكها ..

-بلاش الكلام في الموضوع الآن .. بعدين؟ مش كده ياحبيبي؟ ..

-فعلا .. بعدين .. أهلا بك في فيينا ياعروسة ..

-«مرسى» ياحبيبي ..

-تحب نعمل إيه الليلة ..

-أنا .. ولا أحنا الاثنين يجب أن نسأل حمادة .. هل يسمح لنا
بالخروج الليلة ..

-طبعاً .. نترك الطفل لمدام «مرجريت» الليلة .. أو طوال شهر
العسل ..

-اتركه شهراً؟ لا يمكن .. مستحيل! .. ده أنا أموت!

-اللى يريحك بقى ..

-نتركه الليلة فقط .. وبعد ذلك سوف يكون معنا .. ألا يمكن
أن نجد داده ..

-داده؟ هنا في النمسا؟

- آه .. وفي أي مكان تسافر معنا ..

- إنت عارفه كم يكلفنا هذا ..

- أعرف .. وهل نسيت أنني سيدة غنية ولا ايه ..

- نسيت والله ..

- أذكرك بأنني قادرة على أن آتي له بداده واثنين كمان ..

- زى ما أنت عاوزه ..

- ممكن اسأل «سؤال» ..

- تفضل ..

- هل من الممكن أن نقيم غداء لزوجات أصدقائك اللي كانوا في المطار لكى أتعرف عليهم جيئا ..

- ممكن .. فكرة جميلة .. آه نسيت أقول لك .. إن «مرجريت» عندها فكرة تدعونا إلى العشاء أى يوم تختارينه أنت ..

- لازم «مرجريت» ..

- على كيفك ..

- بلاش «مرجريت» ..

- وأنت إذا دعوت زوجات المصريين هنا .. فسوف تقىم كل واحدة منها غداء أو عشاء لك .. فانا أفضل عند العودة من شهر العسل ..

- هل هو شهر ..

- ليس بالضبط ..

- حسب ظروفك أنت ..
 - ظروف تسمح ب أسبوع ..
 - لا مانع .. على أن يكون لي في حسابك ثلاثة أسابيع أخرى في ظروف أخرى .
 - أشكرك .
 - بل أشكرك أنت يا حبيبي !
- * * *

فـ أحد الفنادق تلقت « ماجدة » .. مكالمة تليفونية من حماتها .. وكانت في غاية السعادة « ماجدة » .. : أنا قابلت « مرجريت » ياطاطنط .. جميلة جداً ياطاطنط ومش باين عليها سنها أبداً .. وطيبة جداً .. وعاقلة جداً .. لو رأيتها سوف تخيبينها والناس هنا جميـعاً يحبونها .. وسوف تترك لنا البيت .. وبعد ذلك تنتقل إلى شقة بعيداً عنها .. ونحن سوف نبحث عن شقة جديدة ..

ال الحاجة « عديلة » : أنا مبسوطة أنك أحبيت « مرجريت » .. والله يا ابتي أنا كمان حبيتها من بعيد .. من كلام « صابر » وكل المصريين عنها .. الحمد لله أنك مبسوطة ربنا يديم عليكم السعادة .. ابقى كلـى ماما يا « ماجدة » .. لأن الصوت لم يكن واضحـاً في المرة اللي فاتـت وهـى موجودـة في بيت « اخوك » محسن .. أوعـى تنسـى ..

« ماجدة » : « صابر » ما قدرش يكلـمك ياطاطنط .. لأنـه نـزل الصـبح بدـرى وسرـعة ..

« عديلة » : لا .. يا ابنتى كلمنى من القطر .. آه والنبي
كلمنى .. ياحلاوة القطر عندكم فيه تليفون .. حاجات غريبة
ياابتى .. ربنا يسعدكم ويجعل كل أيامكم « أعياد وأفراح » ..
الحمد لله على كده يا ابنتى .. وبوسى لي « حمادة » و « صابر » ..
من حق يا « ماجدة » ..

إيه الحكاية اللي طالعة في دماغ « صابر » ابني ..

- إيه ياطاطنط فيه ..

- يا ابنتى عاوزنى أتعالج عندكم ..

- تورينى وتشريفينى ويسعدنا ياطاطنط .. ياريت .. الفكرة دى
كانت في بالى .. ومش عارفه إيه اللي شاغلنى .. أحسن حاجة
سمعتها النهارده .. ياريت ياطاطنط ..

- والله مفاجأة ياابتى ..

- مفاجأة حلوة .. بس « صابر » كان لازم يقول لي ..

- حنغير والا ايه ؟ !

- منك أنت ياطاطنط .. دى أنت على عينى وعلى رأسى من فوق
ياتاطنط ..

- أنا عارفه ياابتى .. لا إله إلا الله ..

- محمد رسول الله ..

نزلت « ماجدة » إلى الحلاق .. ثم راحت واشتريت فستانًا جميلاً ..
وقفت أمام المرأة طويلاً .. فالليوم هو حفل العشاء الذي تقيمه
« مجريت » لـ « ماجدة » ولأصدقاء « صابر » من المصريين وزوجاتهم.

ولم تنشأ « مرجريت » أن يكون العشاء في بيتها وإنما في مطعم صغير أنيق جدًا في أحد شوارع فيينا .. والمطعم صغير .. ولكنه جيل جدًا .. ويبدو أن له قيمة تاريخية .. فالأسئلة على الجدران والصور وكلها شخصيات قديمة .. وصاحب المطعم رجل كبير في السن .. وزوجته أيضًا ..

وعند الباب الخارجي وقفت السيدة صاحبة المطعم ترحب بالضيوف وتعطى كل سيدة وردة حمراء ..

ثم جاء « صابر » و « ماجدة » وقدمت لها باقة من الورد .. شمعها « صابر » وقد منها لزوجته لكي تشمها .. مفاجأة .. إنه ورد بلدى مصرى !

وفي الداخل وقفت « مرجريت » أكثر جالاً وأناقة .. ووضعت في صدرها عقداً من الماس وفي أذنيها وفي أصابعها .. أما الفستان فطويل محشمش .. الكم طويل والصدر قد تغطى والفسستان طويل .. وكل شيء يدل على سعادتها .. ولم يستطع أحد إلا أن يبدى إعجابه بجماليها وأناقتها ..

أما « ماجدة » فهي الأخرى كانت جميلة .. شابة حلوة شعرها أسود .. وعيانها خضراء .. ووضعت في صدرها عقداً فخمًا جيلاً من اللؤلؤ .. وفي يديها وفي أصابعها وفي أذنيها ..

وقدمت لها « مرجريت » هدية مصرية ثمينة صندوقاً من الفضة المبطن بالأحجار .. وفي داخل الصندوق مصحف صغير .. في

صندوق من الفضة .. ثم عقد من الذهب يتدلّى منه مفتاح الحياة
عند الفراعنة ..

وجلسوا حول الشموع وكانت ليلة بدعة .. جلست « ماجدة »
على رأس المائدة وجلست « مرجريت » على الجانب المواجه لها ..
ووقف الضيوف يقدمون هداياهم ويتمنون للعروسين كل
سعادة ..

أما « مرجريت » فقدّمت صاحبى المطعم : والدتها ووالدتها ..
وكانت مفاجأة فهى لم تحدث أحداً عن والديها ..
ثم نظرت إلى الباب وقالت وهؤلاء إخواتى وزوجاتهم .. أربعة من
الرجال وزوجاتهم وقد ارتدن الملابس النمساوية التقليدية وكل سيدة
قدمت للعروس هدية صغيرة ..

وكان مفاجأة للجميع ، فهى لم تحدث أحداً عن إخواتها وزوجاتهم .
وقالت : إنهم جميعاً يسكنون في هذه العمارة التي فوقنا .. لأنها
عمارة يملكها أبي وأمى ..

ثم قالت في هدوء وفي أسى رقيق : وفيها شقة خالية .. أرجو أن
أنتقل إليها !

وادركت « ماجدة » أن « مرجريت » قد قررت أن تبعد عن
زوجها .. وإن الحزن الرقيق لم تستطع أن تخفيه .. كأنما أرادت أن
تؤكد لـ « ماجدة » أنها حتى لو تزوجته فسوف تظل تحبه .. أو حتى
لو ابتعدت فسوف يبقى « صابر » قريباً من قلبها ..

وفهمت « ماجدة » الرسالة العابرة التي بعثت بها « مرجريت »
على مسمع من الجميع ..

وفي الطريق إلى البيت قالت « ماجدة » : لم أكن أتصور أن
« مرجريت » بهذه الرقة .. وهذا الجمال .. إنني أحترمها ..
وأحبها .. والناس معذرون في حبها .. كيف تستطيع امرأة عاشقة
أن تودع حبها إلى زوج غيرها بهذه الرقة وهذا الاحترام وهذه الكبراء
الجريحة .. إنني لا أستطيع أن أقف مثل هذا الموقف .. إنه موقف
صعب .. يؤكّد شخصيتها القوية وحبها الأقوى .. وعجزها عن
إخفاء ذلك كله .. إنها عظيمة يا « صابر » .. وأنت معذور في
حبها .. وهي أيضًا معذورة .. إنني لم أخطئ عندما أحببتك فكل
الذين يعرفونك يحبونك .. إنني سعيدة بأنني أحببت من يحبه كل
الناس .. إنني سعيدة بأن أحدًا من الرجال والناس لا يقوى على
تجاهلك .. أو اللامبالاة لك .. لابد أن يحبك .. فأنا مثل كل الناس
أحببتك ولم أتصور الحياة من غيرك لحظة .. وعندما كنت بعيدًا
كان عندي إيمان مطلق بأنك سوف تعود وسوف أكون لك ..

.....

- « صابر » .. تعرف نفسى في إيه .. نفسى تقول لمدام
« مرجريت » أن تبقى في شقتها معنا .. إننى أحبها .. والله أحببته
من كل قلبي ..

- قولي لها أنت .. أما أنا فلا أستطيع فهي قررت قبل مجيك إلى
فيينا .. بل هي التي حدثتني عنك وعن حياتك هنا . وعن ذهابها

إلى مكان آخر . . مع حبها لنا واحترامها العميق .

- حبها لك . .

- بل حبها لك أنت أيضاً . . هذا ما قالته أمس .

- متى ؟

- عندما ذهبت أنت إلى الخالق قالت لي : إن عروسك الجميلة سوف يحبها كل الناس هنا . . إنها رقيقة أنيقة وحبها لك واضح جداً . .

- هي قالت ذلك ؟

- والله العظيم قالت ذلك بالحرف الواحد . . وأنت تعرفين أنني لا أكذب . .

- أنا سعيدة . . بكل كلمة قالتها . .

- الحاجة « فاطمة » .

- من الحاجة « فاطمة » ؟

- هي . .

- عندما أسلمت غيرت اسمها . . وسوف تتحقق هذا العام ..
ويكون اسمها الحاجة « فاطمة » .

- أنت عاوز تجنبني ؟

- ليه . . ؟

- إنني أزداد حبا لها لحظة بعد لحظة . .

- كنت متأكداً من ذلك . .
ويتعانقان . .

الحلقة العاشرة

في أحد مطاعم فيينا جلس « صابر » و « ماجدة » .. هو قد
ارتدى البدلة الأنيقة والكرافطة .. وهى أيضاً في غاية الشياكة ..
وعزف الموسيقى : سنة حلوة ياجميل .. هابى بريثاي تو ..
يو ..

والتفت كل الحاضرين ليروا التورتة ذات الشمعة الواحدة وقد
استقرت على المنضدة أمامها .. إنها يحتفلان بعيد زواجهما
الخامس ..

اقرب « صابر » من « ماجدة » وقال لها : « ماجدة » كل يوم
اكتشف أنك جميلة شكلاً وموضوعاً جميلاً وجهها وقلباً .. سبحان
الله .. كنت أمامي طوال عمري .. ولكن كان شعوري دائمًا أنك
مثل أختي .. وفي الوقت نفسه أحسست أن الأسرة تريد أن تفرضك
فرضاً لأنك بنت خالي .. ولم أنظر إليك نظرة رجل غريب عنك ..
ولكنها مشيئة الله .. وبعدين يا « ماجدة » ..

ـ « ماجدة » : بعدين إيه ؟

ـ « صابر » : إنت عارفه .

ـ لاً مش عارفه ..

ـ لاً عارفه ..

ـ آه تقصد .. إننى مانعه نفسى من الحمل .. أنا قلت لك مش قبل أن يصبح حماده قادرًا على أن يخدم نفسه .. والآن إن شاء الله سوف يكون لنا بنت بإذن الله ..

ـ أكيد ..

ـ ربنا كريم ..

ـ يعني أنت حامل ..

ـ أيوه ..

ـ ياما إنت كريم يارب .. وأخفيت عنى هذا الخبر السعيد ..
ـ أنا لم أخفة .. وإنما ذهبت إلى الطبيب اليوم .. وانتهزت هذه الفرصة السعيدة لأجعلها سعيدة مرتين ..

ـ الحمد لله .. لابد أن أنقل هذا الخبر لما ماما في المستشفى ..

ـ أنا سبقتك وقلت لها .. وهى فى منتهى السعادة .. وكادت تنط من السرير ولكن أنا منعتها .. تعرف يا « صابر » المصرىون دول فىهم حاجة غريبة .. تصور أنهم يتناوبون عليها صباحاً ومساءً .. تماماً كما يفعلون فى مصر .. هذا معه ورد .. وهذه معها مجلات من مصر .. ولا أعرف كيف وجدوا اللب الأسىمر .. تصور أتوا باللب

والسودانى والفسق .. والقهوة التركى .. والكنكة والفنجان ..
وحتى البن محوج .. تصور فيه جبهان .. إنهم يشغلونها تمامًا عن
أى ألم .. حكايات ونكت وقصص من حضر ومن سافر .. أما
الحاج « عبد اللطيف » وأولاده .. وخصوصاً « ثريا » بنته لا يفارقونها
لا ليلاً ولا نهاراً ويأتون لها بالملوخيا .. وقتة الكوارع هل هذا
معقول .. حتى المخلل .. كأنها في مصر بالضبط .. إن هذه البلاد
لم تغير من العادات الكريمة عند المصريين .. أعجب هدية تلقتها
النهارده صندوق من الجبنة الدوبيل كريم وفيها فلفل أخضر .. جبنة
دمياطى فى فيينا ؟ !

- يعني أنت قلت لاما قبل ما تقولى لي ..

- طبعاً .. إن مثل هذا الخبر يجب أن تقوله سيدة لسيد .. أن
تكون الأم أول من يتلقى هذا النبأ السعيد .. وأننا أعرف حب أمك لى
ولك ..

- طيب قلت لأمك ..

- طبعاً .. إنها أسعد إنسان في الدنيا الآن .. وكانت تعيسه على
زواجى الأولانى .. كما كانت تعيسه بسبب زواجك الأولانى أيضاً
وكنت أقول لها : سوف تتزوج ياماً .. وكانت تقول : أنت مجنونة
زى أبوك ..

- وليه زى أبوك ..

- إنها نفس القصة .. فقد تزوجت أمى رجلاً آخر غير والدى
وهو ابن عمها أيضاً .. وكان يقول : إن زواجهما هذا بضغط من

أمها .. ولكن لابد أن أتزوجها ولن أتزوج غيرها وسوف أنتظرها ..

- حكاية غريبة أنا أول مرة أسمعها ..

- إنها حكاية قديمة عمرها أكثر من أربعين سنة ..

ثم ماذا حدث ..

- لقد فوجئت أمى بأن زوجها الأولانى أخفى عنها زواجه من واحدة بنت عمها غنية .. فطلبت الطلاق وأصرت عليه .. وكان والدى فى انتظارها ..

- هل اقترح شيئاً؟

- أعرف الذى سوف تقتربه .. لقد حدث يا أستاذ ..

- صبح ..

- أىوه ..

- طيب أنت عارفه أنا كنت عاوز أقول إيه ..

- من غير ما تقول أنا عارفة .. طبعاً قلت لـ « مرجريت » .. وهى سعيدة جداً .. وقد تلقت النبأ والدموع فى عينيها .. والله الدنيا بخير يا « صابر » .. الواحدة بشوف حاجات فى البلاد دى لم أكن أتصور أنها موجودة أبداً .. فعلا الدنيا بخير .. والخير كثير ولكننا يجب أن نصبر عليه حتى نهتدى إليه ..

* * *

الشقة الجديدة لـ « صابر » و « ماجدة » .. وكل دقيقة يدق جرس الباب .. ورد من الضيوف .. وبعض المداعيا .. وعلب

الشيكولاتة والبسكويت وفي المطبخ خادمة جاءت من مصر ..
و«حادة» يلعب في كل مكان .. والموسيقى الهايئه الناعمه تتردد في
الشقة اللامعة .. لقد أقامت «ماجدة» حفلة شاي للأصدقاء ..

وكان أول من قدم إلى الشقة «مرجريت» ولم تكدر تفتح الباب
حتى رأت صورتها الكبيرة على الحائط يراها كل من يدخل البيت ..
فاغرورقت عيناهما بالدموع واحتضنت «ماجدة» وقبلتها ..

وقدمت منها «ماجدة» تشير إلى صورة «مرجريت» : طبعاً
أنت تعرفين صاحبة الصورة .. هذه صورة والدة «صابر» .. وهذه
صورة والدتي .. وهذه صورة «حادة» وهذه صورة المرحومة
«تهانى» .. وهذه صورة والدى .. وهؤلاء إخواتى .. وهؤلاء إخوة
«صابر» ..

«مرجريت» : لا أعرف ماذا أقول .. أنا لا أستحق كل ذلك ..

- بل أكثر من ذلك .. نحن كل يوم نزداد حبا لك ..

- وأنا أيضاً ..

- أنا لا أصدق ما أرى وأسمع .. لم أكن أتصور أن في الدنيا كل
هذا الحب وكل هذا الصدق ..

- شكرًا ..

وجاء «صابر» فتقدّم إلى «مرجريت» وشكّرها على الحضور
و قبلها في خديها وفي يديها ..

«ماجدة» : لم تلاحظ شيئاً هاماً ..

- ماذا؟

- انظر!

- الله صورة جميلة لشخصية أجمل وأرق وألطف من خلق الله ..
شكراً لك يا حبيبي .. وراح يقبل زوجته في خديها وفي يديها
أيضاً ..

«صابر» : أين الضيوف؟ ..

«ماجدة» : سوف يجيئون ولكن أنا أردت أن تجبيء «مرجريت»
وحدها لكي أجلس إليها قبل أن يأتي الضيوف ..
وتولى الضيوف ورأوا صورة «مرجريت» وعانقوها وقبلوها ..

* * *

وبعد الحفلة ذهبوا جمِيعاً إلى والدته في المستشفى .. وتلقوا مكالمة
تليفونية من حماته ومن إخوته وإخواتها ..

* * *

وفي السيارة سألت «ماجدة» : إلى أين يا «صابر»؟ ..

- إلى أي مكان نجلس فيه معاً ونتكلم على راحتنا ..

- عندي ..

- ماذا ياترى ..

- الشركة .. سوف تونفدنـا إلى القاهرة لكي نجرب نوعاً من
العقاقير لعلاج المعدة والأمعاء .. فسوف أحمل معـي كمية كبيرة من
العينـات أقوم بتوزيعها على المستشفيـات والعـيادات .. مجانـاً طبعـاً ..

وأنتظر رأى الأطباء والمرضى في العقار الجديدة .. إن هذا العقار يعتمد على الأعشاب وعلى الفحم وعلى عسل النحل .. فالاتجاه العام الآن ضد استخدام الكيماويات .. لأنها مرهقة للمعدة والأمعاء .. وأحياناً ضارة جداً ..

- متى؟ ..

- بعد أربعة شهور ..

- لماذا أربعة؟ ..

- مفاجأة ..

- في عرضك كفى مفاجآت ..

- لأنني أريدك أن تلدى في مصر بين والدتك ووالدتي وإنخوتي وليس هنا وحدك ..

- ربنا يخليلك يا « صابر » .. أنت تفكـر في كل شيء .. فكرة جميلة .. لم تخطر على بالـي .. ولكن لابد أنـي سأحتاج إلى أحد إلى جوارـي .. وخصوصـاً أنـي عندـي إحساس قويـ بـأنـي سوف أـلد توءـمين !

- ماـهـذا؟ ..

- إحساس ..

- إحساس قويـ كـأـحسـاسـك بـزواـجـنـا ..

- شيءـ كـهـذا ..

- بتـنان طـبـعاً ..

- ربـنا أـعـلـم ..

- يارب أبعث لنا بنتين زي القمر ..

- زي أبوهم طبعا ..

- فشر زي أمهم .. والله قمر ١٤ « ماجدة » .. والله زي القمر .. اللهم لك الحمد والشكر ونسمي التوعمين إيه؟ ..

- صبرك يا « صابر » .. مستعجل على إيه .. بس أولد أولا ..

- إن شاء بالسلامة . فيه حاجة مضايقاني جدا ..

- خير إن شاء الله ..

- أبدا حاجة في الشغل ..

- إيه ..

- مش أنا لكن أنا مندهش أن الشركة كان بها عدد من المصريين ..
أطباء وصيادلة .. وتركوها ..

- تركوها لماذا؟

- لم يتركوها ولكن الشركة طلبت منهم أن يتركوها .. أنا متضايق جدًا .. الشركة عظيمة جدًا .. وكل شيء فيها منظم .. وكل شيء علمي ودقيق .. ليه بعض المصريين لا يحترمون النظام .. ليه يجعلون الناس يشكون في التعامل مع أي واحد مصرى بعد ذلك ..

- ماذا حدث؟

- ولا حاجة .. ترددت الشركة في أن تبعث بي في هذه المهمة إلى مصر .. لأنهم أرسلوا واحدًا من أربع سنوات .. فباع العينات ولم

يعد إلى فيينا . . مع أن ثمنها تافه ولكن هذه العينات هي خلاصة
أبحاث قام بها علماء الشركة وأطباؤها وجربوها في أماكن مختلفة من
العالم . . وكان هدفهم أن يروا نتائج هذه العقاقير في مصر . . وأكثر
من ذلك كان في نيتهم أن يجعلوا واحداً من هؤلاء الصيادلة المصريين
وكيلًا للشركة في مصر . . وغير ذلك من تصرفات صغيرة جدًا . .
تافهة جداً . . ولكنها أساءت لسمعة المصريين جميعاً . . ولولا أنهم
وضعنوني تحت الرقابة الشديدة جداً ، ما كانوا عرضوا على هذه المهمة
وكلفونى بأن أكتب تقريراً عنها . . صحيح أنا لست صيدلياً لكن
عندى معلومات عامة وسوف يرافقنى أحد الصيادلة النمساويين
وليس المصريين تصورى !!

- خسارة . .

- أنا نسيت أقول لك أن عندنا عشاء مهمًا جداً أقامته « مرجريت »
في مطعم والديها . .

- ولكن ليس عندى فستان جديد .

- ولا يهمك . . إنه عشاء ضيق جداً لن يحضره إلا نحن . . وأسرة
الحاج « عبد اللطيف » وماماً . .

- ولماذا هو مهم . .

- أنا قلت مهم ؟

- إيه . .

- أقصد من المهم أن نحضره لأن « مرجريت » تريد أن تقدم لنا

طعاماً جديداً في هذا المطعم ..

.....

* * *

ودخلوا جميعاً المطعم الصغير الأنثيق .. « صابر » و « ماجدة »
ووالدة « صابر » معاً ..

ثم جاء الحاج « عبد اللطيف » وابنته « ثريا » وابنه « عبد الفتاح »
وزوجته البولندية ..

وكان في انتظارهم صاحباً المطعم والدًا « مرجريت » .. الأب في
غاية الأنفة والشياكة والألم أيضاً ..

ووراءهما باقة ورد كبيرة وجلسوا إلى المائدة والشموع وفجأة دخلت
« مرجريت » ترتدي فستاناً أبيض ومعها مدير المستشفى التمساوي ..
المستشفى الذي كانت تعالج فيه أمه ..

وتساءلت « ماجدة » : إيه ده فرح ؟

-نعم .

-فرح مين ؟

-فرح « مرجريت » !

-إزاي ؟

-إنها أصرت على الطلاق عندما علمت بزواجهنا ..

-والله ما أروعك يا « مرجريت » .. إنها أعظم إنسان قابلته في

حياتى .. كيف تفكـر بهذا الجمال والعقل ..

وبكت « ماجدة » وهجمت على « مرجـيت » تقول لها : من كل
قلبي أتمنى لك السعادة يا أعظم وأجمل سيدة في الدنيا ..

وقدمـت « مرجـيت » زوجها زميل الدراسة الابتدائية والثانوية :
د. « هانز شـلجل » مدير عام مستشفى الأمراض الباطنية بمدينة
جراتس ..

الحلقة الأخيرة

وفي الصباح جلست « ماجدة » و « صابر » يتناولان طعام الإفطار ..

« ماجدة » : أنت مالك ..

« صابر » : يعني ..

- يعني إيه .. أنا لم أستطع أن أنام .. إن الذي حدث بالأمس هزني هزاً عنيقاً .. كيف استطاعت « مرجريت » أن تتصرف بالعقل ، رغم حبها الشديد لك ..

- ولكن بسبب حبها لي .. فهي حريصة على هذا الحب .. وحريصة على سعادتنا الزوجية .. فمن أجل أن نظل أصدقاء وعندنا ذكريات حلوة قررت أن تبتعد وأن يكون ذلك محترماً .. فهي تزوجت صديقاً قديها وأحد أقاربها .. هو في حاجة إلى زمالة .. إلى بيت وأسرة وهي أيضاً .. وهو خرج من قصة حب فاشلة حطمته أعماقه .. وهي أيضاً .. هو صارحها وهي صارتة أيضاً .. وقررا

أنه من الممكن أن يعيشوا معاً وأن يتسانداً .. وهي أقوى منه بكثير جدًا .. وهو في حاجة إلى شخصية بهذه القوة والطيبة والصدق .. ولن يجد أفضل منها في كل النساء ..

- إنهم مختلفون عنا .. كأن هذا الذي أسمعه لا يمكن أن يحدث في مصر وبهذا الاحترام والرقابة والأدب والذوق .. مستحيل .. كيف يتفق الناس هكذا .. دون ضجة ودون شعارات .. هي أحبت ولم تستطع أن تكمل حياتها مع من تحب .. ولكن لابد أن تعيش .. هي تعيش محترمة والحب يعيش في قلبها .. مع احترامها للظروف التي تغيرت هنا وهناك .. وزوجها أيضًا .. ولكن قل لي كيف طلبت الطلاق منك؟ ..

- هي لم تطلب الطلاق .. ولكن هي قررت الطلاق .. فعندما تزوجنا اشترطت أن تكون العصمة في يدها .. حتى لا أعيش على الرغم مني معها ولا هي على الرغم منها .. وكانت بعيدة النظر .. وهي عاقلة دائمًا .. وقالت لي : أنا أعرف وأفهم وأقدر وأحترم العلاقات الإنسانية ومستحيل أن أبني سعادتي على تعاستك أو تعasse زوجتك أو ابنك .. ما كان بيننا سوف يبقى محترماً عندنا .. - يا سلام .. إيه ده .. الناس بتفكر إزاى .. إيه العظمة دي .. وبعددين يا « صابر » ..

- ذهبنا معاً إلى القنصلية وتم الطلاق وسجلناه .. واتفقنا على أن يظل ذلك سراً بيننا وطبعي أن أحترم رغبتها ..
- إذن كل ذلك حدث قبل أن أجيء إلى هنا ..

- عندما علمت من بعض المصريين - لا أعرف من هم - أننى سوف أتزوج .. ولابد أنها عرفت أكثر من ذلك .. ولكنها لم تقل لي شيئاً .. وإنما أبلغتني قرارها .

- وكانت حزينة ؟

- نعم ..

- هل بكت ؟

- أنا الذي بكى ..

- أنا لو مكانها كنت بكثرة أيضاً .. ولكن يجوز بكثرة بعيداً عنك .. أو من المؤكد أنها بكثرة ولم ترد أن ترى ضعفها أو أن تؤثر عليك .. متى العظمة والاحترام يا «مرجريت» وهل أبلغت أحداً غيري ..

- ماما .. بناء على طلبها هي ..

- ففيما إذا كان شعورها ..

- والله لقد بكت أمي بكاء شديداً وراحت تبوسها في خديها وفي رأسها وفي يديها .. وقد تأثرت «مرجريت» إلى أقصى درجة حتى انهارت هي الأخرى ..

- وأنت رأيت ذلك ؟

- لا .. ماما قالت لي ..

- وكان في المستشفى أحد ؟

- لم يكن هناك أحد سوى مدير المستشفى .

- هو رأى كل ذلك ؟

- نعم .

- ولم يتضايق ..

- إنه رجل عاقل .. وهو قادر مشاعرنا .. فقد كان هو الآخر يحب .. وقد انفصل عن زوجته باحترام عظيم .. وسار كل واحد في طريق ..

- الله الله إيه الأخلاق دي .. إيه الناس دي .. والله أنا ما كنت أتصور شيئاً من ذلك إلا في الأفلام الرومانسية جداً .. ولو رأيت فإني لا أصدق كل ذلك .. وأجد فيه مبالغة غير معقولة .. ولكن الذي أعاشه فوق احتياط القلب والعقل ! أنا مش عارفة اتلم على أعصابي .. أنا لم أنم ليلة أمس .. لقد هزني هذا الحادث السعيد .. أو هذا القرار العجيب من « مرجريت » .. وأنت جالك نوم ؟

- لم أنم يوم قررنا الطلاق .. ولا يوم عرفت من الذي سوف تتزوجه .. ولم أعرف كيف أقول لها .. أشكراها .. أو أهنتها .. كل الذي حدث أنت انتهت على يديها أقبلهما .. وأبكي .. أنا بكيت أمامها .. ولكنها لم تبك .. وإنما بكت عند أمي ..
- أنا خائفة ..

- من أى شيء ؟

- أنا عندي إحساس كأن الدنيا تنتهي .. كل شيء ينتهي .. صحيح نهاية سعيدة ولكن لا أعرف ما الذي سوف يجيء بعد

ذلك .. هل الظروف سوف تركنا بهذه السعادة والله أنا خائفة جداً ..

- لا تخافي .. ربنا كبير .. الحمد لله على كل شيء ..

- خائفة .. كنت خائفة أول الأمر ألا أجده أحداً في فيينا ..

ولكن وجدت من الأصدقاء المخلصين أضعاف الذين كنت أجدهم في القاهرة .. ووجدت من المشاعر ما لم أسمع وما لم أقرأ وما لم أكن أصدقه لو جاء في الكتب أو في الأفلام .. بالضبط لا أعرف هل أنا سعيدة لأن « مرجريت » تزوجت فابتعدت عنك .. أو هل لأنها تزوجت .. أو هل لأنى ازدلت حباً وإعجاباً بها .. مش عارفه .. وراحت تبكي .. وانهارت على المبعد ..

* * *

اليوم عشاء كبير عند الحاج « عبد اللطيف » .. وهو رجل صيدلي هاجر من مصر من حوالي ٣٧ عاماً .. وهو أبو المصريين في هذه المدينة .. يعرفهم جميعاً .. وإذا واحد منهم وقع في مشكلة هو وحده الذي يحلها .. في وزارة الداخلية في وزارة الخارجية في السفارة .. في الشارع .. وهو الوحيد الذي يستطيع أن يشخّص في أي مصرى وأحياناً يضرّ به .. والشبان يرون أنه والدهم وصاحب الفضل عليهم .. ويرون فيه نموذجاً للكفاح والتثابر .. لقد رأى وجرب وسمع وتعذّب من كل الأوضاع الصعبة التي واجهته عندما جاء من المنصورة لا يعرف إلا عشرين كلمة إنجليزية وخمس كلمات المانية .. وقد باع كل ما يملك من أرض ورثها عن والديه وجاء

وعنده إصرار على أن يكون شيئاً .

وكانت مغامرة أول الأمر .. من شاب في الثانية والعشرين من عمره .. وبعدها بستة أو سنتين يعود إلى مصر .. ولكن المغامرة انتقلت إلى مغامرة إلى مغامرة وانتقل من عمل إلى عمل .. ومن بلد إلى بلد ومن زوجة إلى زوجة .. واحدة مصرية ماتت وواحدة مجرية طلقها .. وواحدة ألمانية هربت مع واحد أمريكي .. وقرر أن يبقى وأن يعمل .. وبعد أن تجمع لديه مبلغ كبير من المال اشتري البيوت والدكاكين وقرر أن يعيش ويسافر شرقاً وغرباً .. وأن يأتي بأولاده وبنى لهم بيتهما ويعيشون معه وحوله ..

وهو طول عمره رجل شيك .. وابن حظ وابن نكتة .. يشرب ويقصص وأول من يهنىء وأول من يعزى .. وهو أبو الجميع بشهادة الجميع ..

وفي التليفون قال الحاج « عبد اللطيف » لـ « ماجدة » : ياعروسة أنا عازفتك تلبسى أبيض ف أبيض .. لازم ..

« ماجدة » : أمرك يا حاج ..

- كل السيدات أنا طلبت « منهم يلبسوا » أبيض .. علشان تبقى ليلة بيضاء علينا جميا .. وسنة بيضاء .. خلاص ..

- خلاص يا حاج ..

- حاجة ثانية قولى لجوزك يلبس بدلة غامقة .. رسمي .. أنا أحب الرسميات ، والنمساويون هنا علمونا الضبط والربط .. وأنا

نمساوي خدى باللك .. أنا هنا قبل أنت ما تتولدى .. وقبل أمك
ماتتولد كمان ..

- هاها .. هاها .. حاضر يا حاج ..

- يابنت ما تقوليش يا حاج عيب .. تقولي حاضر يا بابا . فكلكم
هنا أولادي ..

- حاضر يا بابا ..

- أهوه كده !

* * *

أما شقة الحاج « عبد اللطيف » فهي في نفس العمارة ولكن في
الدور الأخير .. وهو قد فتح شقتين بعضهما على بعض ..
وكان الحاج « عبد اللطيف » قد دعا معظم الجالية المصرية ..
وكل رجال السفارة وزوجاتهم .. وطبعاً « مرجريت » وزوجها .. ولم
يكد الباب ينفتح حتى انطلقت رائحة البخور .. جو مصرى
شرقى .. مع أغنيات أم كلثوم ..
وفجأة سكتت الموسيقى ..

وقف الحاج « عبد اللطيف » .. وفتح الستار عن تورته
العروسين .. واستعدت « ماجدة » لكي تقطع التورته .. ووقف
إلى جوارها « صابر » ومنعها .. ولاحت الدموع تنزل من عيني
« ماجدة » .. عندما انطلقت موسيقى : اغترى يا حلوة يا زينة ..
وتقدم الحاج « عبد اللطيف » .. وفتح باب غرفة مجاورة لتخرج

الحاجة « عديلة » في فستان أبيض .. إنها هي العروسة ..
وصدق الحاضرون وإنها ماجدة ..
وحاول الطبيب إسعافها .. ولكن « صابر » قال لها : إنها حامل .. وسعيدة بهذه المفاجأة الكبرى ! ..
مبروك يا عريس ..
مبروك ياعروسة ..
مبروك لنا جميعا .. مبروك ..

ويتساءلون كيف استطاعوا إخفاء هذا الخبر .. متى كان التعارف .. في المستشفى وكيف أفنع « صابر » والدته .. وكيف كتم هذا الزواج وكيف لم يتحدث أحد من السفارة عن هذا الخبر السعيد .. وكيف أن السفير الذي هو قريب « ماجدة » والذى زارها مرات عديدة لم يخبرها بهذا الزواج الذى تم من أسابيع عديدة !

* * *

وفي نهاية الحفل وبعد أن أفاقت « ماجدة » من انهيارها . عانقها وقبلها .. وقال لها : آخر مفاجأة ! ..
ـ في عرضك يا « صابر » إلا إذا كنت عاززنى أموت ..
أرجوك .. أنا اكتشفت أن قلبي ضعيف .. وأننى لا أقوى على هذه الأخبار السعيدة .. في عرضك يا « صابر » في عرضك أبوس إيديك .. حرام عليك ..
ـ ليس مفاجأة سارة ولا حزينة ..

- ليست مفاجأة .. وإنما نمشي ونذهب إلى مكان ونتوقف عنده
لحظات ..

- ما هذا المكان؟ أرجوك ..

- لا تخاف .. أنا حريص على الطفل وعلى سلامتك .. وهو
مكان له معنى خاص عندي .. له معنى تاريخي .. في تاريخي
أنا .. ولن يضايقك ذلك .. ولن يجعلك في الوقت نفسه تموتين من
الفرحة ..

- أين؟

- قريباً من هنا ..

- «صابر» في عرضك ..

- قلت لك لا تخاف ..

توقفت السيارة .. ونزل الاثنان إلى ما تحت أرض أحد ميادين
فيينا .. وطلب منها «صابر» أن تقف .. وسبقها إلى مكان بعيد
وجلس على الأرض وأسند ظهره للحائط ..

- مش فاهمه ..

- من هنا بدأت مشواري إليك .. من هنا كانت رحلتي فوق
سطح الأرض .. كنت هنا وحدي .. والآن لم أعد وحدي .. هنا
كنت خائفاً .. واليوم كل شيء معى .. أنت وابنى وابتتاي
(يضحك) وأمى وأحبابى .. مشوار طويل ولم يكن صعباً .. ولم
أحقق فيه مستحيلاً .. وإنها حقيقة كل ما هو ممكن بتعب وشرف
وكرامة وحب !

رقم الإيداع / ٢٨٨٢
I.S.B.N 977 - 09 - 0205 - 5

مطبع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سبوبه المصري - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨١٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

الإفاطمة

كانت للكاتب الكبير أنيس منصور قصة غريبة مع قصة (عريس فاطمة) من أكثر من ثلاثة علاما . . كتب حكاية فاطمة . ولم يكملها . وتركها أكثر من عشرين عاما . ثم أكملها . وجاءت التكميلة حاكمة من البطلة فاطمة للمؤلف نفسه . . ثم ظهرت على الشاشتين الكبيرة والصغيرة . .

وهاهى ذى فاطمة مرة أخرى تعاود الظهور . . فإن لم تكن هذه رواية فهي قصة طويلة . . وإن لم تكن قصة فهي مشروع لقصة . . أو لاصطدام أبناء حضارتين معا فيينا عاصمة النمسا . .

وهي تتحدث عن فاطمة وأخواتها . . وعن عدد من المصريين (الجدعان) أولاد البلد . . بكل سلبياتهم وشهامتهم أيضا . .

وفي خيوط الحب والصدق واللحوف والشجاعة والأمل هذا الثوب الضيق . . الذي يتسع ويشمل الدنيا كلها . .

ولابد أن ألف المصريين الذين سافروا إلى قارات الدنيا قد التقوا بواحدة . ول يكن اسمها فاطمة . وقامت فاطمة هذه بدور الأم والأخت والزوجة . . بل من الممكن أن يكون في حياة المهاجر إلى الدنيا الواسعة أكثر من فاطمة . حدث . وسوف يحدث . .

وكاتبنا الكبير أنيس منصور يقدم لك فاطمة وحولها عشرات الشبان المصريين . . هل حدث له ذلك ؟ يجوز . . هل الذي حدث من الممكن أن يتكرر ؟ لقد حدث . .

وفي عباراته السهلة الجميلة الدافئة ، وفي لسانه النفسية وهمسانه الفلسفية ، أنت مع أحب الكتاب إلى قلوب الناس منذ أكثر من أربعين عاما . . ولايزال . .